

الأمانة

جميع حقوق الطبع والنسخ والشرح محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

المكتبة المصرية الحديث

www.almaktabalmasry.com

info@almaktabalmasry.com

ت: ٣٩٣٤١٢٧

القاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء

ت: ٤٨٤٦٦٠٢

الإسكندرية: ٧ شارع نوبار المنشية

عبد محمد كشكس

الأمانة

المكتبة المصرية الحديث

www.almaktabamasry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

لك الحمد يا ربنا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك أنت

القائل وقولك الحق:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
فَأَنسَنَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ
النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٣﴾ ﴾

وأشهد أن لا إله إلا الله يحب الأتقياء، وحبه للشباب لتقي أشد،
ويحب المتواضعين، وحبه للغني المتواضع أشد، ويحب الكرماء وحبه
للفقير الكريم أشد، ويبغض العصاة، وبغضه للشيوخ العاصي أشد،
ويبغض المتكبرين وبغضه للفقير المتكبر أشد، ويبغض البخلاء،
وبغضه للغني البخيل أشد.

أخا الإسلام

ما لم يتوج ربه بخلاق
فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
طرب الغريب بوبة وتلاق
بين الشمائل هزة المشتاق
في الشرق علة ذلك الإخفاق
أعددت شعبا طيب الأعراق
بالري أورك أيما إيقاق
بلغت معارفهم مدى الآفاق

لا تحسبن العلم ينفع وحده
فإذا رزقت خليفة محمودة
إني لتطربني الخلال كريمة
ويهزني ذكر المروءة والندى
ربوا البنات على الفضيلة إنها
الأم مدرسة إذا أعددتها
الأم روض إن تعهده الحيا
الأم أستاذة الأساتذة الألى

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبينا محمداً رسولاً لله.

ما أعظمه إذا وصف الدواء وما أدقه إذا شخّص الداء، وضع على الطريق معالم تنبه الغافلين وترشد الحائرين وتقود سفينة العالم التائهة في خضم المحيط إلى شاطئ الأمان إلى ملكوت رب العالمين.. حذر من أمور إذا ظهرت في الأمة؛ فليرتقبوا الريح الحمراء والخسف والمسح.

"إذا صار المال دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرمًا، وأكرم الرجل صديقه، وجفا أباه، وأطاع زوجته، وعق أمه، وتعلم لغير الله، وصار زعيم القوم أردلهم، وارتفعت أصوات الناس في المساجد، ولبسوا الحرير وشربوا الخمور، واتخذوا القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها".

سيدي أبا القاسم يا رسول الله

أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، ومحوت الظلمة، وجاهدت في الله حق جهاده، حتى أتاك اليقين.

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| وأقمت بعدك للعباد شريعة | لا سوقة فيها ولا أمراء |
| الله فوق الخلق فيها وحده | والناس تحت لوائها أكفاء |
| ظلموا شريعتك التي نلنا بها | مجداً وقالوا أنها عرجاء |
| دين يشيد آية في آية | لبناته السورات والأضواء |
| الحق فيه هو الأساس وكيف لا | والله جل جلاله البناء |

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم وبعد.

فصل:

أعلى قيمة في هذه الدنيا هي الأمانة، فإذا كان فيك أربع خصال فلا تبالي بما فاتك من الدنيا بعد ذلك: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

لقد كنت تنسب في الأخلاق أرق من النسيم وأنضر من صفحة الروض الوسيم:

إن كان للأخلاق ركن قائم
المجد والشرف الرفيع صحيفة
في هذه الدنيا فأنت الباني
جعلت لها الأخلاق كالعنوان

لقد حذرت يا رسول الله من زمن ينام فيه الرجل النومة فتتزعج الأمانة من قلبه حتى يأتي على الناس زمان إذا رأوا فيه رجلاً أميناً عجبوا وقالوا إن في بني فلان رجلاً أميناً وحتى يقال للرجل ما أظرفه! ما أعقله ما أجده! وليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان! لقد سألت يا رسول الله فقليل لك متى الساعة؟ فقلت في إيجاز بليغ وبلاغة موجزة "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة".

لقد بلغ من حفاوة القرآن الكريم بالأمانة أنه ذكرها في ستة مواضع:

في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾

وقال سبحانه في سورة النساء ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

وقال جل شأنه في سورة الأنفال ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٧)

وقال تبارك اسمه في سورة الأحزاب ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٦)

وقال تبارك وتعالى في سورة المؤمنون وفي سورة المعارج في وصف أهل الإيمان ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾

وإياك يا أخي أضواء كاشفة نسلطها على كل آية من هذه الآيات
ونرجئ تفسير آية النساء إلى أن نخصص لها موضوعا يتعلق بتفسير آيات
بينات من هذه السورة وإليك تفسير الآية الأولى.

قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ أَمِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَلَئُوْدِ الَّذِي أَوْتُمِنَ أَمْنَتَهُ
وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾

وحتى تتم الفائدة فإننا نفسر آية المدائنة لكونها تتعلق بالمعاملات
والسلوك وما أضيعها بيننا في عصرنا هذا حتى لا يكون لمعتذر أمام الله
عذر.

آية المداينة

قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقُوكُمْ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

المفردات:-

- تداينتم : دايين بعضكم بعضاً.
- إلى أجل مسمي: أي موعد محدود بالأيام والشهور والسنة. ونحوها مما يفيد العلم لا بالحصاد وقدوم الحاح مما فيه جهالة.
- بالعدل: أي بالسوية من غير ميل إلى أحد الجانبين.
- ولا يأب: أي لا يمتنع.

- كما علمه الله: أى على الطريق التي علمه الله إياها من كتابة الوثائق.
- وليملل: أى وليفقه على الكاتب ما يكتبه والإملال والإملاء. بمعنى، يقال أمل على الكاتب وأملي عليه.
- ولا يبخس: أى ولا ينقص.
- سفيها: أى ضعيف الرأي ولا يحسن التصرف في المال لضعف عقله.
- أو ضعيفا: أى صبيا وشيخا هرما.
- أو لا يستطيع أن يمل: أى بأن كان جاهلا أو أباكم أو أحرص.
- واستشهدوا شهيدين: أى اطلبوا أن يشهد رجلان.
- ترضون: أى ترضون دينهم وعدالتهم.
- أن تضل: أى تخطيء لعدم ضبطها وقلة عنايتها.
- ولا تسأموا: أى لا تملوا ولا تضجروا.
- أقسط: أى أعدل.
- وأقوم: أى و أعون على إقامتها على وجهها.
- وأدني: أى أقرب.
- ألا ترتابوا: أى إلى انتفاء الريب في جنس الدين وقدره وأجله.
- تريدونها: أى تتعاطونها بالتعامل يدا بيد.
- والجناح: الإثم والذنب.
- ولا يضار: أى ولا يفعل الضرر بالمعاملين بالامتناع عن الكتابة أو الشهادة أو بالتحريف أو الزيادة أو النقص.
- فسوق: أى خروج عن الطاعة.
- والرهان: واحدها رهن بمعنى مرهون.

لما رغب الله تعالى عباده في الإنفاق وضرب لذلك الأمثال ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ وبين أن الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم مثل في ذلك ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ﴾.

بعد ذلك نهى سبحانه وتعالى عن التعامل بالربا نهيا بلغ إلى حد أن قال الله سبحانه ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وذكر العباد باليوم الآخر فقال ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾

لما كان ذلك كذلك جاءت آية الدين وهي أطول آية في كتاب الله، بين الله فيها أحكاما تتعلق بالمعاملات المالية، ذلك لأن الإسلام أمر بالحفاظ على النفس والعقل والمال والعرض "فنعم المال الصالح للعبد الصالح".

وللفقهاء كلام في الدين نذكره مفصلا:

يقول الشيخ السيد سابق:

شرع الله الدين قربة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى لما فيه من الرفق بالناس والرحمة بهم وتيسير أمورهم وتفريج كربهم.

وإذا كان الإسلام ندب إليه وحبب فيه بالنسبة للمقرض فإنه أباحه للمقرض ولم يجعله من باب المسألة المكروهة لأنه يأخذ مال لينتفع به في قضاء حوائجه ثم يرد مثله.

روي أبو هريرة أن النبي ﷺ قال "من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر

يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه" (رواه مسلم وأبو داود والترمذي).

وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ "رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة".

وعقد الدين عقد تملك فلا يتم إلا ممن يجوز له التصرف، ولا يتحقق إلا بالإيجاب والقبول كعقد البيع والهبة.

وينعقد بلفظ القرض والدين والسلف وبكل لفظ يؤدي إلى معناه.

فإذا ما تم العقد وحدد الأجل فليس للدائن أن يطالب بدينه قبل حلول الأجل، قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾

فهذا أمر بكتابة الدين حفاظاً على المال وعدم ضياعه، ويجوز الدين في الثياب والحيوان فقد ثبت أن الرسول ﷺ استلف بكرة، كما يجوز قرض ما كان مكيلاً أو موزوناً أو ما كان من عروض التجارة كما يجوز قرض الخبز والخمير لحديث عائشة "قلت يا رسول الله إن الجيران يستقرضون الخبز والخمير ويردون زيادة أو نقصاً فقال: لا بأس إنما ذلك من ترافق الناس لا يراد به الفضل".

وعن معاذ أنه سئل عن اقتراض الخبز والخمير فقال سبحانه وتعالى إنما هذا من مكارم الأخلاق، فخذ الكبير وأعط الصغير وخذ الصغير وأعط الكبير، خيركم أحسنكم قضاء... سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

ولما شرع الله تعالى القرض ورغب فيه وأثاب عليه فإن حكمة المشروعية الرفق بالناس وتيسير أمورهم وبعيد كل البعد عن روح

الإسلام إرهاب الناس والتعسير عليهم، لذا فإن هناك قاعدة تقول (كل قرض جر نفعاً فهو ربا) فلا يجوز لصاحب المال أن يقصد من وراء القرض أي فائدة من القرض وإنما عليه أن يقصد بعمله هذا وجه الله.

التعجيل بقضاء الدين قبل الموت:

روى الإمام أحمد أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن أخيه مات وعليه دين فقال هو محبوبس بدين فأنض عنه. فقال يا رسول الله قد أديت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة ليس لها بينة فقال "أعطها فإنها محقة".

وروي أن رجلاً قال يا رسول الله أرأيت إن جاهدت بنفسي ومالي فقتلت صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر أدخل الجنة؟ قال "نعم فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً قال إلا إن مت وعليك دين وليس عندك وفاء وأخبرهم بتشديد أنزل فسألوه عنه فقال الدين.. والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم عاش ثم قتل في سبيل الله ثم عاش ثم قتل في سبيل الله ما دخل الجنة حتى يقضي دينه".

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال: "كان رسول الله ﷺ لا يصلي على رجل مات وعليه دين فأتي بميت فقال أعليه دين؟ قال: نعم ديناران فقال: صلوا على صاحبكم فقال: أبو قتادة الأنصاري هما على يا رسول الله فصلى عليه رسول الله ﷺ فلما فتح الله على رسوله ﷺ قال أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فمن ترك ديناً فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته".

وحديث البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "من أخذ أموال الناس يريد أداها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله".

مطل الغني ظلم

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع" (رواه أبو داود وغيره).

يقول الله سبحانه ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۗ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

روي عن أبي قتادة أنه طلب غريماً له فتواری ثم وجده فقال إني معسر ، فقال: الله ، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ: "من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه".

وعن كعب بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله".

وقوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بَدِيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَيٍّ فَآكْتُبُوهُ ﴾ هذا إرشاد من الله لعباده أن يكتبوا الدين خشية النسيان والجحود الذي قد يقضى إلى النزاع ويؤدى إلى العداوة والبغضاء.

وقوله تعالى ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ أي بالقسط والحق ولا يجر في كتابته على أحد ولا يكتب إلا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان.

وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۗ فَلْيَكْتُبْ ﴾ أي ليس للكاتب أن يمتنع عن الكتابة إذا سئل ذلك وذلك كما علمه الله فليكتب.

وقوله تعالى ﴿ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ أي وليملل المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين ولا ينقص من شيئاً.

وقوله تعالى ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ أي سيئ التصرف في ماله محجوراً عليه للإسراف والتبذير أو ﴿ أَوْ ضَعِيفًا ﴾ أي صغيراً أو مجنوناً، ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ ﴾ وذلك لعجزه عن الكلام كأن يكون أبكم أو أكن، ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ أي ولي أمره بالعدل، أي بالقسط والحق.

وقوله تعالى ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ أي اطلبوا شهادة رجلين حتى تكون شهادتهما بيينة لإثبات الدين.

وقوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ أي أن قامت شهادة الرجل بامرأتين في المعاملات لأن رسالة المرأة في بيتها وتدبير المعيشة والإشراف على التربية، فليست ذات خبرة في المعاملات والأسواق فهي كثيراً ما يعثرها النسيان في مثل هذه الأمور، لذا بين الله تعالى الحكمة فقال ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ أي تبتعد عن المطلوب للنسيان أو عدم الخبرة فتذكر إحداها الأخرى، وسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وسبحان من يسر لعباده ما يليق بكل منهم، فكل ميسر لما خلق له: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾.

وقال في حق النساء ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

روي الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب

لذي لب منكن، قالت يا رسول الله: ما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان عقلها، وتمكث الليالي لا تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين".

وقوله تعالى ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أي أن الشاهدين يكونان معروفين بالعدالة حتى تقع شهادتهما موقع الرضا.

وقوله تعالى جل شأنه ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ أي نهى من الله تعالى موجه إلى الشهداء ألا يمتنعوا عن أداء الشهادة إذا دعوا إليها وذلك حتى لا تضيع حقوق العباد.

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ وهذا توجيه إلهي كريم حفاظا على الحقوق، فالله تعالى ينهى عن الملل من كتابة الحقوق صغيرة كانت أو كبيرة، كل إلى أجله وقد بين الله تعالى الحكمة من ذلك فقال: ﴿ذَلِكَمُ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي أعدل، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي أعون على إقامتها على وجهها.

﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي أقرب الطرق إلى نفي الريبة والشك والظن السيئ وسوء النية.

وقوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي إذا تم البيع والشراء وقبض البائع الثمن فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ذلك لأنه لا نزاع ولا شحنة ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وذلك لإثبات الحق في البيع والشراء، كما أمر سبحانه وتعالى قبل ذلك بكتابة الدين والإشهار، كل هذا حتى لا يكون هناك اختلاف يؤدي إلى العداوة والبغضاء.

قال سبحانه ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ نهى موجه إلى كل كاتب وشهيد فليس للكاتب أن يحرف في كتابته أو يغير حتى لا

يكون هناك ضرر بأحد المتعاقدين، والإسلام يقول في قواعده الأصلية "لا ضرر ولا ضرار".

وعلي الشهيد ألا يكتم أو يغير في شهادته، إذ أن في الكتمان والتغيير ضررا بأحد المتعاقدين.

قال تعالى: ﴿ وَإِن تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ أي إن وقع الضرر فذلك خروج عن طاعة الله وامتنال أوامره واجتتاب نواهيه، وكما أمر الله تعالى بكتابة الدين في أول الآية أمر بالتقوى في ختامها إذ التقوى هي العاصمة والواقية من الوقوع في المخالفات، إذ هي خوف من الجليل فمن خاف الله فقد عرفه، ومن عرفه فقد أحبه ومن أحبه فقد استضاء بنوره، ثم قال سبحانه ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ أي يبين لكم الأحكام التي فيها سعادتكم ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾، ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وقال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهِنَّ مَقْبُوضَةً فَإِن مِّنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْتُمِنَ أَمَنَتَهُ وَليَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فإِنَّهُ ءَإِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ هذا إرشاد من الله تعالى لعباده إن كانوا مسافرين وتعذرت الكتابة أي كتابة الحقوق لعدم وجود الكاتب أو من يحسن الكتابة، فليكن هناك رهن يأخذه الدائن للاستيثاق من أداء دينه، ولا يتم ذلك إلا بقبض الشيء المرهون، وقد أجاز الإسلام الرهن للاستيثاق من أداء الدين فإن كان المدين معروفا بحسن الأداء وكرم المعاملة، فليس هناك ما يدعو إلى الكتابة وعلى المدين أن يؤدي الدين في وقته لأنه مؤتمن لدى الدائن.

﴿ وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ فلا يجحد ما عليه من الحق بحجة أنه ليس هناك كتابة تثبت ذلك، وكما قال تعالى ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ وقال هنا ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ﴾ لأن كتمانها يؤدي إلى ضياع الحقوق ووقوع الظلم فيأكل بعض الناس أموال بعض بالباطل ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ لأن الكتمان عمل يؤدي إلى الإثم وسوء القصد وفساد النية والعداوة والبغضاء وكل هذه من أعمال القلوب وليعلم الجميع أن الله عليم بأعمال العباد وأفعالهم وخلجات نفوسهم وخطرات أفئدتهم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ولا أدنى من ذلك ولا أكثر من إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم.

الخيانة من صفات المنافقين

قال تعالى في سورة الأنفال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا ءَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

المضردات :

لا تخونوا: الخيانة والخون يدلان على النقص وإخلاف ما كان يرجى ومنه قيل خانته الحظ، وخانته رجلاه ثم استعمل الخون والخيانة في ضد الأمانة والوفاء.

الأمانة: تدل على كل التمام وهي حق مادي أو معنوي يجب عليه أدائه.

روي أنها نزلت في أبي لبابة، وكان حليفا لبني قريظة من اليهود، فلما خرج إليهم النبي ﷺ بعد إجلاء بني النضير، وحاصرهم حصاراً

شديداً دام إحدى وعشرين ليلة، وقد طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل إليهم أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم، لأن أمواله وبعياله فيهم، فبعثه إليهم فقالوا له ما ترى؟ هل تنزل على حكم سعد بن معاذ كما طلب محمد ﷺ؟ فأشار إلى حلقه أي أن حكم سعد الذبح قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أنني خنت الله ورسوله، فنزلت الآية؟ وقد شد نفسه على سارية المسجد، وأبى الطعام والشراب حتى الموت، أو يتوب الله عليه، ومكث سبعة أيام وبعدها تاب الله عليه، وفك النبي وثاقه.

يا من اتصفتم بالإيمان وتصديق الرحمن، والاهتداء بالقرآن لا تخونوا الله فتعطلوا فرائضه، أو تنقصوا شيئاً من أحكامه التي بينها لكم في كتابه، فإن ذلك خيانة تتنافى مع الإيمان، ولا تخونوا الرسول فيما أمركم به أو نهاكم عنه، ولا تخونوه فترغبوا عن بيانه للقرآن فهو أدرى وأقرب فخيانة الله والنبي عبارة عن تعطيل فرائض الدين، وعدم العمل بأحكامه والاستئتان بسنته، فإن هذا كل نقص لا يليق بالمؤمن المؤمن على دينه، على أن الخيانة من صفات المنافقين، والأمانة من صفات المؤمنين.

ولا تخونوا الأمانة التي في أيديكم لغيركم، سواء كانت معاملات مالية أو شئونها أدبية أو سياسية، أو سرّاً من الأسرار، أو عهداً من العهود، والحال أنكم تعلمون خطر الخيانة وسوء عاقبتها دنياً وأخرى، وأنتم تعلمون الأمانة ومكانتها، وقيل المعنى وأنتم تعلمون أن هذا خيانة، وذلك أمانة كما حصل لأبي لبابة.

قال تعالى في سورة الأحزاب ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٦﴾

المفردات:

الأمانة : كل ما يؤتمن عليه المرء من أمر ونهي في شئون الدين والدنيا، والمراد به هنا التكاليف الدينية، وسميت أمانة من قبل أنها حقوق أوجبها الله على المكلفين واآتمنهم عليها، وأوجب عليهم تلقيها بالطاعة والانقياد، وأمرهم بالمحافظة عليها وأدائها دون الإخلال بشيء منها.

فأبين: أي كن غير مستعدات لها.

وحملها الإنسان: أي كان مستعداً لها.

أنه كان ظلوما جهولا: أي كثير الظلم لما غلب عليه من القوة الغضبية.

جهولا: أي كثير الجهل لعواقب الأمور، لما غلب عليه من القوة الشهوية.

جاء في معنى الأمانة أقوال نوضحها فيما يلي:

قال العونى عن ابن عباس: الأمانة: الطاعة، عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم، فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال، فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم متحملها، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

وقال ابن عباس أيضا الأمانة: الفرائض، عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، إن أدوها آتابهم، وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك، وأشفقوا عليه من غير معصيته، ولكن تعظيما لدين الله ألا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم، فقبلها بما فيها، وهو قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ يعني غرا بأمر الله.

وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصري وغير واحد: إن الأمانة هي الفرائض، وقال آخرون: هي الطاعة، قال أبي بن كعب من الأمانة أن المرأة أؤتمنت على فرجها.

وقال قتادة: الأمانة: الدين والفرائض والحدود، وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أتيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله وبالله المستعان.

قال ابن أبي حاتم بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقبتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وأيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن أدى الأمانة" قالوا يا أبا الدرداء ما الأمانة؟ قال رضي الله عنه: الغسل من الجنابة فإن الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.

وقال ابن جرير أيضا بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها" أو قال "يكفر كل شيء إلا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك! فيقول أني يا رب وقد ذهب الدنيا؟ فيقول اذهبوا به إلى أمر الهاوية فيذهب به إلى الهاوية فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها فيجدها هنالك كهبيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوي في أثرها أبد الأبدين".

قال: والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الوضوء والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع فلقيت البراء فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق.

وروى الإمام أحمد بسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال: "حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن

وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينام الرجل فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء.... قال ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال: فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إنه في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل ما أجده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان، ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم ما بعث إن كان مسلما ليردنه على دينه، وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعية فأما اليوم فما كنت أباع منكم إلا فلانا وفلانا" (أخرجاه في الصحيحين).

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة".

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة طعمة".

وقد ورد النهي عن الحلف بالأمانة، فقد ورد في حديث مرفوع، قال أبو داود بسنده عن أبي بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من حلف بالأمانة فليس منا".

وللإمام النسفي تفسير في هذه الآية جدير بالذكر، قال رحمه الله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ وهو يريد بالأمانة الطاعة لله، ويحمل الأمانة الخيانة، يُقال فلان حامل للأمانة ومحتمل لها، لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته، إذ الأمانة كأنها راكبة للمؤمن عليها، وهو حاملها، ولهذا يقال ركبته الديون ولي عليه حق، فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها، يعني أن

هذه الأجرام العظام من السماوات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها، وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تليق بها، حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته، إيجاباً وتكويناً وتسوية، على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة، كما قال سبحانه ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ وأخبر أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله، وأن من الحجارة لما يهبط من خشية الله، وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة، ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، وهو العاقل الصالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات، فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع، وهذا معنى قوله ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلنَهَا﴾ أي أبين الخيانة فيها وألا يؤدينها.

﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ : وخضن من الخيانة فيها.

﴿وَحَمَلَهَا آلِ نَسْنُ﴾ أي خان فيها وأبى ألا يؤديها.

﴿إِنَّهٗ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ لكونه تاركا لأداء الأمانة.

﴿جَهُولًا﴾ لأخطائه، وما يسنده مع تمكنه منه وهو أداؤها.

(قال الزجاج) الكافر والمنافق حملا الأمانة، أي خانا ولم يطيعا ومن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال ظلوما جهولا.

قال تعالى في سورة المؤمنون والمعارض ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

الأمانات: واحدها أمانة، وهي ما ائتمن المرء عليه من قبل الله كالتكاليف الشرعية، أو من قبل الناس كالأموال المودعة لديه، والنذور والعقود ونحوها.

والعهد: ما عقده الإنسان على نفسه مما يقربه إلى ربه وما أمر به
الله كما قال ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾

والرعي: الحفظ.

والراعي: القائم على الشيء لحفظه وإصلاحه.

وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾

من صفات المؤمنين الذين استحقوا أن يكونوا ورثة الفردوس،
الحفاظ على الأمانات والعهود ومن الأمانات الحفاظ على سلامة العقيدة
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
كذلك من الأمانات الحفاظ على النفس ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ .

وكذلك الحفاظ على العقل ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَفْلِحُونَ ﴾ .

كذلك الحفاظ على العرض ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً
وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ .

كذلك الحفاظ على المال ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ والأمانات هنا بمعناها الواسع تفيد معنى
الرعاية لحقوق الله تعالى، قال تعالى ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ
الَّذِي أَوْتُمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ﴾ .

وقال سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

وقال جل شأنه ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وهنا يقول تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ وذلك بعد أن زكى قلوبهم بالإيمان، ونفوسهم بالصلاة، وألسنتهم عن اللغو، وأموالهم بالزكاة، وأعراضهم بالعفة، بعد ذلك زكى معاملاتهم برعاية الأمانة والعهود.

وفي سورة الأحزاب يقول عز من قائل ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وكما حافظوا على الأمانات حافظوا على العهود والعقود والميثاق، كل هذه مسئوليات يسأل الإنسان عن الوفاء بها، قال تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ .

وقال عز من قائل ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

وقال تبارك اسمه ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾

ومن الرعاية للأمانات والعهود أداء الدين، وهذا أمر قد خانته كثير من الناس، فأصبح الغالب على أحوالهم المماثلة في أداء الديون، وأكل أموال الناس بالباطل، والإدلاء بها إلى الحكام، ولو علم هؤلاء ما جاء على لسان الصادق المعصوم - صلوات ربي وسلامه عليه - في هذا الشأن لو علموا ذلك لأدوا الأمانات إلى أهلها، ولوقفوا عند المحافظة على حسن المعاملات.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "أعوذ بالله من الكفر والدين. فقال رجل: يا رسول الله أتعدل الكفر بالدين؟ قال: نعم" (رواه النسائي والحاكم).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "الدين راية الله في الأرض، فإذا أراد الله أن يذل عبداً وضعه في عنقه" (رواه الحاكم).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها. قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال الدين" (رواه أحمد).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من فارق روحه جسده، وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: الغلول، والدين، والكبر".

وعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: "من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء، ومن تداين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتضى الله عز وجل لغريمه يوم القيامة" (رواه الحاكم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله" (رواه البخاري).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "من حمل من أمتي ديناً ثم جهد في قضائه ثم مات قبل أن يقضيه فأنا وليه" (رواه أحمد).

وعنها رضي الله عنها أنها كانت تداين، فقيل لها مالك وللدَّين ولك
عنه مندوحة؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد كانت له
نيَّةٌ في أداء دينه إلا كان له من الله عون فأنا ألتمس ذلك العون".

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت ميمونة تدان
فتكثر فقال لها أهلها في ذلك ولأموها ووجدوا عليها، فقالت: لا أترك
الدَّين، وقد سمعت خليلي وصفيى ﷺ يقول: "ما من أحد يدان ديناً يعلم
الله أنه يريد قضاءه إلا أداه الله عنه في الدنيا" (رواه النسائي).

وعن صهيب الخير رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ "أيما رجل
يدين ديناً وهو مجمع ألا يوفيه إياه لقي الله سارقاً" (رواه ابن ماجه).

ورواه الطبراني في الكبير ولفظه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول
"أيما رجل تزوج امرأة ينوي ألا يعطيها من صداقها شيئاً مات يوم يموت
وهو زان، وأيما رجل اشترى من رجل بيعاً ينوي ألا يعطيه من ثمنه شيئاً
مات يوم يموت وهو خائن، والخائن في النار".

وعن القاسم مولي معاوية رضي الله عنه أن بلغه أن رسول الله ﷺ قال
"من تدين بدين يريد أن يقضيه حريص على أن يؤديه فمات ولم يقض
دينه، فإن الله قادر على أن يرضي غريمه بما شاء من عنده ويفقر
للمتوفى، ومن تدين بدين وهو يريد ألا يقضيه فمات على ذلك ولم يقض
دينه فإنه يقال له: أظننت أنا لن نوفى فلاناً حقه منك؟ فيؤخذ من
حسناته فيجعل زيادة في حسنات رب الدَّين، فإن لم يكن له حسنات
أخذ من سيئات رب الدَّين فجعلت في سيئات المطلوب" (رواه البيهقي).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "من مات
وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته، ليس ثمَّ دينار ولا درهم" (رواه
ابن ماجه).

ولفظه: قال: رسول الله ﷺ "الدَّين دَينان فمن مات وهو ينوي قضاءه
فذاك الذي، يؤخذ من حسناته، ليس يومئذ دينار ولا درهم".

المعنى:

رب الدين: صاحب الأمانة المودعة.

قضي من حسناته: أي أخذ من ثوابه المدخر له سدادا لدينه الذي كان في حياته.

ليس ثم دينار: أي ليس يوم القيامة مال يدفع وإنما هناك أخذ الأجر تنفيذاً وقضاء. قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ أَحْسَنُ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

وقال تعالى ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾

وعن محمد بن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ قاعداً حيث توضع الجنائز فرفع رأسه قبل السماء ثم خفض بصره فوضع يده على جبهته فقال "سبحان الله سبحان الله ما أنزل من التشديد" قال فعرفنا وسكتنا حتى إذا كان الغد، سألت رسول الله ﷺ فقلنا: ما التشديد الذي نزل؟ قال: "في الدين، والذي نفسي بيده لو قتل رجل في سبيل الله ثم عاش ثم قتل ثم عاش ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضي دينه" (رواه النسائي).

المعنى:

الغد: اليوم الثاني.

يقضي دينه: يؤدي.

والمعنى أن المجاهد مهما أصاب وجاهد فلا يدخل الجنة حتى يسدد دينه، وفيه الترهيب من الدين وأن عقابه صارم ويدخل النار ولو كان المدين صالحاً مجاهداً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: اتنتني

بالشهداء أشهدهم فقال: كفى بالله شهيداً. قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً. قال. صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر ففضى حاجته ثم التمس مركباً يركبه ويقوم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنني تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً فرضي بك، وإنني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإنني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم أنصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله فإذا الخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه وأتى بألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهداً في مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: هلا كنت بعثت إلى بشيء. قال. أخبرك أنني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه. قال. فإن الله قد أدي عنك الذي بعثته في الخشبة فأنصرف بألف دينار راشداً. (رواه البخاري).

المعنى:

يسلفه: يقرضه.

كفي بالله شهيداً: الله مطلع علينا ورقيب وتكفي شهادته وحده سبحانه وتعالى.

فائتني بالكفيل: الضامن.

صدقت: وفي رواية أبي سلمة فقال: سبحان الله نعم.

مسمي: موعده محدد.

زجج: أي سوى موضع النقر وأصلحه وهو من تزجيج الحواجب: وهو حذف زوائد الشعر، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من الزج وهو الفصل

كأن يكون النقر في طرف الخشبة فشد عليه زجا ليمسكه ويحفظ ما فيه.

وقال عياض: معناه سمرها بمسامير كالزج أو حشا شقوق لصاقها بشيء ورقعه بالزج.

وقيل معناه: أصلح موضع النقر.

جهدت: اجتهدت.

ولجت فيه: دخلت فيه.

رجل اقترض مبلغا من آخر إلى زمن معلوم لما آن أوان السداد ذهب إلى البحر فلم يجد مركباً، فأتى بخشبة وضع المبلغ فيها ورمها في البحر ثقة بالله تعالى، وهو نعم الشهيد الكفيل، والدائن ينتظر مدينه على الميناء، فرأى خشبة فأخذها للدفع فوجد في وسطها الأمانة والرسالة.

هذه حادثة يروونها لنا سيدنا رسول الله ﷺ عن صالحين برين مؤمنين معتمدين على الله جل وعلا، أشرق نور الإيمان بالله تعالى في قلوبهما، وسطعت تعاليمه بينهما في ذلك الوقت، فهل فينا الآن هذا الإيمان، وحب الخير والتوكل على الله، وقضاء الحاجات ابتغاء ثواب الله، والوفاء والصدق ورد الودائع، وقد قال تعالى فينا ﴿ كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ اكتسبت الأمة الشرف العظيم والتفوق الباهر والخيرية من رسولها الصادق الأمين محمد ﷺ الذي حكى لنا فعل رجلين من بني إسرائيل، رجاء أن نعمل مثلهما، ونتقى الله ونثق به وندعوه رغبا ورهبا ونخشاه قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

وفي البخاري في باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها فرؤى هذا الحديث.

وفي الفتح عن عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه "أن رجلاً ذهب إلى النجاشي فقال أسلفني ألف دينار إلى أجل، فقال: من الجميل بك؟ قال: الله، فأعطاه الألف فضرب بها الرجل، أي سافر بها في تجارة فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه فحبسته الريح فعمل تابوتاً".

فذكر الحديث.

فالذي أقرض هو النجاشي فيجوز أن تكون نسبته إلى بني إسرائيل بطريق الاتباع لهم.

نشرها: قطعها بالمنشار فانتثرت الدنانير منها والصحيفة فقرئت وعرف ما فيها.

وفي الفتح: في الحديث جواز الأجل في القرض ووجوب الوفاء به، وقيل: لا يجب بل هو من باب المعروف.

وفيه التحدث عما كان في بني إسرائيل وغيرهم من العجائب للتعاطف والانتساء، وفيه جواز التجارة في البحر وجواز ركوبه، وفيه جواز التجارة في البحر وجواز ركوبه، وفيه بداءة الكاتب بنفسه، وفيه طلب الشهود في الدين وطلب الكفيل، وفيه فضل التوكل على الله تعالى وأن من صح توكله تكفل الله بنصره وعونه.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: "من تزوج امرأة على صداق وهو ينوي ألا يؤديه إليها فهو زان ومن أدان ديناً وهو ينوي ألا يؤديه إلى صاحبه أحسبه قال: فهو سارق" (رواه البزار).

وعن ميمون الكروي عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أبما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان، وأبما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤد إليه دينه لقي الله وهو سارق" (رواه الطبراني في الصغير والأوسط).

المعني:

- صداق: مهر.
- زان: مرتكب الفاحشة.
- سارق: خائن مجرم يأكل أموال الناس بالباطل.
- خدعها: خانها وغشها.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال "يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه، فيقال يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس؟ فيقول: يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيع ولكن أتى عليّ إما حرق وإما سرق وإما مضية، فيقول الله صدق عبدي أنا أحق من قضى عنك فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته" (رواه أحمد).

بفضل رحمته: لأنه أخذ الدين لحاجة وفي نيته الأداء إذا استطاع.

وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "إن الدين يقتضى من صاحبه يوم القيامة إذا مات، إلا من تدين في ثلاث خلال: الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين يتقوى به على عدو الله وعدوه، ورجل يموت عنده مسلم لا يجد بما يكفنه ويواريه إلا بدين، ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه فإن الله يقضي عن هؤلاء يوم القيامة" (رواه ابن ماجه هكذا والبخاري).

ولفظه:

"ثلاث من تدين فيهن ثم مات ولم يقض فإن الله يقضي عنه: رجل يكون في سبيل الله فيخلق ثوبه فيخاف أن تبدو عورته - أو كلمة نحوها - فيموت ولم يجد ما يكفنه به ولا ما يواريه فمات ولم يقض دينه، ورجل خاف على نفسه العنت فتعفف بنكاح امرأة فمات ولم يقض فإن الله يقضي عنه يوم القيامة".

المعنى:

- ثلاثة يرد الله عنهم غائلة الدين، ويبعد عنهم عقاب المماثلة.
- (أ) المستدين للجهاد في سبيل نصر دين الله، وتكبيت أعداء الإسلام، والذب عن حياض آدابه.
- (ب) المدين لتكفين الفقير ودفنه.
- (ج) الأعزب الذي يستدين ليتزوج.

يخلق ثوبه: يبلى.

تبدو عورته: تظهر سوءته فاستدان ليتجمل وليخفي ما يجب ستره والعودة للرجل من السرة إلى الركبة، والمرأة جميع جسمها، فإن الله يرضي الدائن ويفدق عليه بنعمته فيرضى عن دينه.

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "إن الله مع الدائن حتى يقضي دينه ما لم يكن فيما يكرهه الله" قال: وكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه: اذهب فخذ لي بدين، فإني أكره أن آبيت ليلة إلا والله معي بعد أن سمعته من رسول الله ﷺ (رواه ابن ماجه).

المعنى:

إن الله مع الدائن حتى يعطى المحتاج ويفرج كربة المتضايق المهموم المحزون مدة إعطائه في حلال يرضي الله جل وعلا، يقال دنت الرجل: أخذت منه ديناً وأدنته جعلته دائناً وذلك بأن تعطيه ديناً.

قال أبو عبيده: دنته: أقرضته، ورجل مدين ومديون، ودنته: استقرضت منه.

قال الشاعر:

مصارع قوم لا يدينون صنيعاً ندين ويقضي الله عنا وقد نرى

قال تعالى ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ و ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ﴾

فخذ لي بدین: صحابي جلیل یرید أن یكون له فضل على الناس بالقرض رجاء أن الله یشمله برحمته ورضوانه ورعايته. قال تعالى ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾

وقال أيضا ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره ومن مات وعليه دين فليس ثم دينار ولا درهم ولكنها الحسنات والسيئات ومن خصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال" (رواه الحاكم وصححه).

المعنى:

- حالت شفاعته: منعت عقابا في الانتقام وتنفيذ أوامر الله.
- فقد ضاد الله: أي كان لله عدوا وصددا وأعلن الحرب على الله تعالى لأنه ساعد المجرمين وضيع حقوق الله في وساطته.

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَثَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٤﴾

أي الذين يحادون الله هم العصاة والفساق ووسطاء السوء وشفعاء الأشرار لذهاب معالم الحق، وتفشي الباطل وضياع مظاهر العدل، وإخفاء الأنوار المضيئة في البر والخير، فجند الله أنصار الحق .

من حاد الله: أي خالفه وعاداه، أي من الممتع أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين، والمراد أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يتمتع ولا يوجد بحال، مبالغة في الزجر عن موالات أعداء الله والاحتراز من مخالطتهم ومعاشرتهم وقال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

- فليس ثم: يوم القيامة: (يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام).
- خاصم: جادل وفجر وشق عصا الطاعة.
- سخط الله: غضبه.
- ينزع: يرجع.

والمعنى أن الذي يميل إلى النفاق والباطل وعصيان الله يستمر غضب الله ينصب عليه حتى يتوب إلى الله ويعترف بالحق وينصره ويدافع عنه.

ردغه: جاء تفسيرها أنها عصارة أهل النار، والردغة: طين ووحل كثير.

المخرج: يصدق ويبعد عن الذم ويجتنب الغيبة والنميمة ويهجر الزور ويترك الباطل.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: "هنا أحد من بني فلان؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: هنا أحد من بني فلان؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: هنا أحد من بني فلان؟ فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله، فقال: من منعك أن تجيبني في المرتين الأوليين. قال:

أنى لم أنوه بكم إلا خيرا إن صاحبكم مأسور بدينه فلقد رأيته أدى عنه حتى ما أحد يطلبه بشيء" (رواه أبو داود).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "صاحب الدين مأسور بدينه يشكو إلى الله وحده" (رواه الطبراني في الأوسط).

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها أن يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء" (رواه أبو داود).

وعن شفي بن ماتع الأصحبي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى: يسعون ما بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور يقول بعض أهل النار لبعض ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى. قال: فرجل معلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل قوة قيحا ودما، ورجل يأكل لحمه فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لا يجد لها قضاء أو وفاء" (الحديث رواه ابن أبي الدنيا).

المعنى:

مأسور: في سجن من جهنم وفي يديه سلاسل النار وأغلالها فيشعر بالذلة والعقاب.

الوحدة: العزلة والعذاب والحرمان من نعيم الجنة وفيه الترهيب من الدين وعدم الوفاء بالسداد وعدم حسن الأداء.

لا يدع له قضاء: لا يترك شيئا يقوم بأدائه والمعنى يبعثر جميع أمواله ويوزعها فرارا من أداء دينه.

يؤذون: يقدمون لهم الآلام زيادة على الذي لحقهم.

الحميم: الماء الشديد الحرارة قال تعالى ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ﴾

الجحيم: النار. أي يمشون بين عذابين. ماء مغلي ونار الله الموقده.

والبثور: العذاب والهلاك.

ما بال: ما حال أو شأن.

تابوت: صندوق من نار.

يجر أمعاءه: تخرج معدته.

يسيل فوه: يخرج فمه مدة قدرة.

أموال الناس: المذموم البعيد من رحمة الله من تداين دينا لم يترك له سدادا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه" (رواه أحمد والترمذي).

وعن جابر رضي الله عنه قال: "توفي رجل فغسلناه وكفناه وحفظناه ثم أتينا به رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه فخطا خطوة ثم قال: أعلية دين؟ قلنا: دينارين فانصرف فتحملها أبو قتادة فأتياه، فقال أبو قتادة: الديناران على فقال رسول الله ﷺ قد أوفي الله حق الغريم وبريء منها الميت قال: نعم فصلى عليه ثم قال بعد بيومين ما فعل الديناران؟ قلت: إنما مات أمس قال: فعاد إليه من الغد؟ فقال: قد قضيتهما، فقال رسول الله ﷺ الآن بردت جلده" (رواه أحمد بإسناد حسن).

وروي عن علي رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أتى بالجنائز لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه، فإن قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه، وإن قيل ليس عليه دين صلى عليه فأنتي بجنائز فلما قام ليكبر سأل رسول الله ﷺ هل على صاحبكم دين؟ قالوا ديناران فعدل عنه رسول الله ﷺ وقال صلوا على صاحبكم فقال علي رضي الله عنه هما علي يا رسول الله بريء منهما فتقدم رسول الله ﷺ فصلى عليه ثم قال لعلي بن أبي طالب جزاك الله خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك، إنه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة فقال بعضهم هذا لعلي خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال بل للمسلمين عامة"

(رواه الدار قطنى ورواه أيضا عن طريق عبيد الله الوصايفى عن عطية عن أبى سعيد).

المعنى:

- معلقة: مرهونة محبوسة بعيدة عن نعيم الله مهما عملت صالحا حتى يودى ما عليها.
- بردت جلده: أي بعد دفع الدينارين لصاحبهما زال عنه العذاب وتنعّم.
- كف: امتنع.
- فعدل عنه: بعد الصلاة.
- هما علي: أنا أذفعهما وفاء لدينه.
- بريء منهما: خلصت ذمته منهما وطهرت فك رهانك: أطلقت من أسر العذاب.
- مرتهن: محبوس في النار.
- للمسلمين عامة: الثواب يشمل كل من فك عسر مسلم وأزال عنه حقوق دينه وأتمه ووفاه.

قال تعالى ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿١١٠﴾

وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ أَحْسَنُ ^{٤٤} وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي فعلة الحسنى (من أمرنا) مما نأمر به. (يسرًا) سهلا ميسرا غير شاق.

وروي عن أنس رضي الله عنه "أن النبي ﷺ أتى بجزاة ليصلي عليها قال هل عليه دين؟ قالوا نعم فقال النبي ﷺ إن جبريل نهاني أن أصلي على من عليه دين، فقال إن صاحب الدين مرتهن في قبره حتى يقضى عنه دينه" (رواه أبو يعلى والطبراني).

ولفظه قال: "كنا عند النبي ﷺ فأتى رجل يصلى عليه فقال: هل على صاحبكم دين قالوا: نعم قال: فما ينفعكم أن أصلي على رجل روحه مرتهن في قبره لا تصعد روحه إلى السماء؟ فلو ضمن رجل دينه فصليت عليه فإن صلاتي تنفعه".

قال الحافظ "قد صلى النبي ﷺ أنه كان لا يصلي على المدين ثم نسخ ذلك".

فروي مسلم غيره من حديث أبي هريرة وغيره "أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين فيسأل هل ترك لدينه قضاء فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه وإلا قال صلوا على صاحبكم فلما فتح الله عليه الفتوح قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعلي قضاءه ومن ترك مالا فلورثته".

المعنى:

جبريل نهاني: في أول الرسالة أمتع ﷺ من الصلاة ترهيباً للذي يأخذ ولا يفي، وستجد بعد ذلك أن هذا النهي زال.

مرتهن: محبوس لا يذهب إلى نعيم الجنة حتى يؤدي عنه دينه.

لا تصعد روحه: لا تسموا إلى أعلى فتشعر بنعيمها ومرافقة الأبرار الصالحين.

ضمن: تعهد بالوفاء عنه، ترغيب منه ﷺ في زيادة أجر المحسنين الذين يؤدون حقوق الله عز وجل عن أصحابهم.

فقه الأحاديث

استعاذ ﷺ من الدِّين لتبعد أمته عنه لأضرار.

أولاً: الدِّين يعادل في العقاب والكفر في الذلة والإهانة وغلبة الدائن وسلطته على المدين "أعدل الكفر بالدين".

ثانياً: الدِّين راية الضعف والمسكنة ترفرف على المدين لضعته.

ثالثاً: عدم الدِّين يجلب السعادة وتنسم الحرية والشعور بالكرامة والمروءة "أقلل من الدِّين".

رابعاً: عدم الاستدانة بشارة الاستقامة وعنوان الهداية وطريق الجنة.

خامساً: ترك الدِّين في الرخاء أحسن خشية أن يستدين فلا يجد ما يؤدي به وبذا يدخل جهنم بسبب دينه وتؤخذ حسناته للدائن وتطرح عليه سيئاته أيضاً انتقاماً منه وترضية لصاحب الدين.

سادساً: كثرة الاستدانة تجلب الفقر وتنزع البركة من المال وتندر بالخراب والخسران "ألفه الله".

سابعاً: جواز الاستدانة عند الحاجة فقط على شريطة نية الوفاء وحسن الأداء "التمس ذلك العون".

ثامناً: قضاء حاجات الناس وفك كربهم محمداً ومجلبة للخير ورضوان الله "كانت ميمونة تدان فتكثر".

تاسعاً: من أخذ مال الناس بنية عدم الوفاء كالغصب والنهب "لقي الله سارقاً" وهو خائن".

عاشراً: الزواج إذا لم يدفع المهر لزوجته فهو آثم وعيشتها معها محرمة وهو عاص ربه "زان".

الحادي عشر: لو مات المجاهد الذي أبلى بلاء حسناً في نصر دين الله "وعليه دين ما دخل الجنة".

الثاني عشر: توطيد العزيمة على حسن الأداء سعادة ومحبة من الله وأدعى لرحمته وزيادة البركة في ماله "كفي بالله وكيفا".

الثالث عشر: المستدين لحاجة يؤدي الله عنه دينه ويكرمه "صدق عبدي أنا أحق من قضى عنك".

الرابع عشر: الدائن الذي يزيل كرب الناس مشمول بعز الله ورحمته "الله مع الدائن" فأحذرا يا أخي من الدين ما استطعت واقتصد في إنفاقك وتوسط ولا تسرف.

تحذير

وقد حذر رسول الله ﷺ من مطل الغني كما رغب في إرضاء صاحب الدين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مطل الغني ظلم وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع" (رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي).

أتبع: أي أحيل

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لي الواجد يحل عرضه وماله" (رواه ابن حبان في صحيحه).

لي الواجد: بفتح اللام وتشديد الياء أي مطل الواجد الذي هو قادر على وفاء دينه.

يحل عرضه: أي يبيح أن يذكر بسوء المعاملة، وعقوبته حبسه.

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يحب الله الغني الظلوم ولا الشيخ الجهول ولا الفقير المختال"

وفي رواية: "إن الله يفيض الغنى الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال" (رواه البزار والطبراني في الأوسط من رواية الحارث الأعور عن علي والحارث وثق ولا بأس به في المتابعات).

المعنى:

مطل: تأخير الحق وتسويق دفعة للدائن.

الغني: أي القادر على وفاء الدين لربه بعد استحقاقه.

ظلم: محرم عليه، وخرج بالغني العاجز عن الوفاء.

قال الشرفاوي: ولفظ المطل يشعر بتقدم الطلب فيؤخذ منه أن الغني لو أخر الدفع مع عدم طلب صاحب الحق له لم يكن ظلماً.

حكى أصحابنا وجهين أن مطل الغني عزيمة من إضافة المصدر للفاعل.

وقيل: من إضافته للمفعول والمعنى أنه يجب وفاء الدين وإن كان مستحقه غنياً ولا يكون غناه سبباً لتأخيره عنه وإذا كان كذلك في حق الغني فهو في حق الفقير أولى.

فليتبع: فليحتل ندباً لا وجوباً خلافاً للحنابلة أي إذا أحيل بالدين الذي له على موسر فليرضى.

وقوله: ظلم يشعر بكونه كبيرة والجمهور على أن فاعله يفسق لكن هل يثبت فسقه بمرة واحدة أم لا؟ قال النووي: مقتضى مذهبنا التكرار.

والراجع عند المتأخرين من الشافعية الأول فلا يكون كبيرة إلا بالتكرار ثلاث مرات فأكثر ويدخل في المماطل كل من لزمه حق كالزوج لزوجته والحاكم لرعيته.

الغني: صاحب الخيرات الجمّة الذي يأكل حقوق الناس، وكبير السن الفاسق الذي يرتكب المعاصي.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله" فذكر الحديث إلى أن قال "والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني والفقير المختال والغني الظلوم" (رواه أبو داود).

وروي عن خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ "ما قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها الحق من قوئها غير متعنت ثم قال: من انصرف غريمه وهو عنه راض، صلت عليه دواب الأرض ونون الماء، ومن انصرف غريمه وهو ساخط كتب عليه في كل يوم وليلة وجمعة وشهر ظلم" (رواه الطبراني في الكبير).

المعنى:

المختال: الذي يعجب بنفسه.

العائل: الفقير المتصف بالفطرسية.

الشيخ الزاني: الذي يفعل الفاحشة مع أن قوة الشباب زالت منه ويلزمه الوقار والأدب.

ما قدس: ما رضى عنها وما طهرها، والمعنى أن الله تعالى يذل ويهين كل طائفة لا تساعد الفقير على أخذ الحق من الجبار المستكبر، وفيه الحث على نصر الحق وإغاثة الضعيف رجاء دوام عز الله ونصره لمحبي الحق والعدل.

متعنت: غير ناقص متعب.

غريمه: دائنه.

صلت: دعت له بالاستغفار وزيادة النعم.

نون الماء: حوت البحر.

ساخط: غضبان.

كتب: تقييد في صفحاته سيئات تتكرر مدي الأيام حتى يؤدي ما عليه لأنه ظلم بتسويته ونقصه.

وعنها رضي الله عنها قالت: "كان على رسول الله ﷺ وسق من تمر لرجل من بني ساعدة فأتاه يقتضيه فأمر رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار أن يقتضيه فقضاه تمرًا دون تمره، فأبى أن يقبله فقال: أترد على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ؟ فاكتملت عينا

رسول الله ﷺ بدموعه ثم قال: صدق ومن أحق بالعدل مني، لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا يتعته، ثم قال: يا خولة غديه واقضيه فإنه ما من غريم يخرج غريمه راضياً إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار وليس من عبد يلوي غريمه وهو يجد إلا كتب الله عليه في كل يوم وليلة إنثماً" (رواه الطبراني في الأوسط).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لا قدست أمة لا يعطى الضعيف فيها حقه غير متع" (رواه أبو يعلى، ورواه الصحيح).

ورواه ابن ماجه بقصته ولفظه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه فاشتد عليه حتى قال أخرج عليك؟ وإلا قضيتي، فانتهره أصحابه فقالوا ويحك تدري من تكلم؟ فقال: إني أطلب حقي، فقال النبي ﷺ هلا مع صاحب الحق كنتم، ثم أرسل إلى خولة بنت قيس، فقال لها: إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك؟ فقالت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعم، فقال: أوفيت أوفى الله لك، فقال أولئك خيار الناس، إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متع" (رواه البزار من حديث عائشة مختصراً، والطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد جيد).

المعنى:

ويحك: كلمة رحمة واستعطاف.

تدري: أتعلم من تحدث.

هلا: هلا للتحريض، أي أود أن تكونوا مع صاحب الحق تساعدونه.

فأقرضينا: أعطينا شيئاً سلفة.

والقرض: تمليك شيء على أن يرد مثله.

فقضى: أدي ما عليه ﷺ للإعرابي وأكرمه وقدم له الغداء وأحسن

ضيافته.

أوفيت: أتممت الأداء وزدت زادك الله كما لا ورقيا ثم مدح ﷺ

المحسنين.

ماذا يريد رسول الله ﷺ:

أولاً: عدم المماطلة وترك التسوييف إذا كان قادراً على الدفع.
ثانياً: قبول الحوالة إذا رأى الدائن حفظ حقه وأدى دينه "فليتبع".
ثالثاً: حسن معاملة الدائن ليتجنب المدين سب عرضه وشتمه وغيبته "لي
الواجد".

رابعاً: كل من قدر على أداء ما أقترض ولم يف حشر مع الظالمين
وعوقب معاقبة المجرمين المسيئين وحل عليه غضب الله وكرهته
"الغني الظلوم".

خامساً: المدين المماطل يجلب لأمة الدمار والوباء والخسران ويوقعها في
الذنوب المهلكة ويبعدها من تطهير الله ورحمته ورأفته بها "ما
قدس الله أمة" أي طهرها من الخطايا.

سادساً: أداء الدين بسهولة يجلب رضا الله وإحسانه ويسبب الدعوات
الصالحة من العالم أجمع "صلت عليه دواب الأرض" أي كل ما
دب وفيه الحياة.

سابعاً: المقصر في الأداء الذي هجر دأته وأغضبه وسجلت عليه الآثام
بمرور الأزمان "يلوي غريمه" ثم ضرب ﷺ المثل الأعلى لوفائه
وحلمه وحسن أدائه "يا خوله غدية وأقضيه" ثم وسع خلقه ذلك
الأعرابي الجاف الفظ الغليظ الذي اشتد عليه حتى قال: "أخرج
عليك إلاقضيتي" أي أعلن عليك الحرب وأشق عصا طاعتك إن
لم تؤد حقي. مسكين أيها الأعرابي!!

شيء قليل أقترض منك سيدنا رسول الله ﷺ، وجئت وليس عنده
شيء مطلقاً، لكن أبي كرمه ﷺ إلا أن يكرم وفادته، ويفدق عليه
بإحسانه، ويرد ما أخذه مضاعفاً، ثم دعا له ﷺ الأعرابي "أوفيت أوفى
الله لك" هكذا تكون مكارم الأخلاق: حسن الأداء مع البشاشة
واللطف والجود.

وهنا درس مفيد، وعظة بالغة، لعلنا نعمل بها ونتخلق بأخلاق سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، يريد أصحابه أن يردوا جهل ذلك الأعرابي ويفهموه درجة السيد الأعلى المصطفى ﷺ، فحضهم ﷺ على نصر الضعيف، ومجارة الحق، والأخذ بيد الضعيف (هلا مع صاحب الحق كنتم) أرايتم أبداع من هذا؟.

يخص أصحابه ﷺ أن يكونوا في صف صاحب الحق مهما سمت درجة المدين، وقويت شوكته وعز سلطانه، والأبداع من هذا أن خير الخلق زاهد راغب عن حطام الدنيا، مستغرق في طاعة الله، فقرض من الأعرابي، ثم قرض من خولة ما يؤدي به حق الأعرابي، حتى أفرحه واكسبه رضاه، ولم يخرج من عند رسول الله ﷺ إلا وهو مبتسم جدل فرح ترفرف عليه راية الوفاء وحسن الأداء، وطيب القضاء، ثم قال ﷺ "أولئك خيار الناس" أي الذين يدافعون عن الحق وينضمون إلى أصحاب الحق، ويساعدون على تنفيذه، وكذا دفع الحق بسهولة، من صفات الأبرار الصالحين، أفاضل الخلق وأطابهم وأحسنهم.

فعليك - أخي - بحسن المعاملة، ودفع ما عليك من الديون بالتي هي أحسن، والتخلق بأخلاق نبيك ورسولك، فتفي بوعدك، وتنجز ما عاهدك عليه وتتقي الله وتخشاه، وتحسن كما أحسن الله إليك قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾

الآيات الدالة على إحسان الله إلى المتقين المؤمنين الذين يدعون حقوق الناس بالحق ويؤدونه

قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

يعني البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام، ويؤخذ منها العمل بكتابة وتنفيذ أوامره، واجتناب مناهيه ومنه رد الأمانة.

﴿ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ بعد توثيقها بذكر الله تعالى.

﴿ كَفِيلًا ﴾ أي شهيداً شاهداً بتلك البيعة، فإن الكفيل مراد لحال المكفول به رقيب عليه، وقد اطلعت أيها المسلم على حديث رجل من بني إسرائيل، ورأيت حفظ الله ماله الذي رماه في البحر في خشبة.

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

وقال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾

وقال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

﴿ زَكَّاهَا ﴾ أنماها بالعلم والعمل.

﴿ دَسَّاهَا ﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق والخيانة.

وقال تعالى ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ ۗ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۗ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۗ ﴾

وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

أي مبدلاً إياها بالنقمة لخيانتهم ومعاصيهم يزيل الخير. ويحفظهم
بالضر سبحانه.

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ
وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ .

الأمانة والحكم

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٤٨﴾

المفردات:

الأمانة: الشيء الذي يحفظ ليؤدي إلى صاحبه، ويسمى من يحفظها ويؤديها حفيظاً وأميناً ووفياً، ومن لا يحفظها ولا يؤديها خائناً.

والعدل: إيصال الحق إلى صاحبه من أقرب الطرق إليه.

والتأويل: بيان المآل والعاقبة.

ذكر ابن إسحق بسنده في سبب نزول هذه الآية عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء إلى البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد. قال ابن إسحق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق عبده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعي فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج" وذكر بقية الحديث في خطبة النبي ﷺ يومئذ إلى أن قال: "ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه على ابن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده قال: يا رسول الله أجمع لنا الحجابة

مع السياقة صلى الله عليك فقال رسول الله ﷺ "أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له فقال له: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر".

قال ابن جرير: حدثني القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج في الآية قال: نزلت في عثمان بن طلحة: (قبض منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فدعا عثمان إليه فدفع إليه المفتاح.

الأمانة: هي الرعاية لحقوق الله تعالى، وقد جاء ذكرها في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز قال تعالى ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ .

وقال جل ذكره ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

وقال سبحانه في صفة المؤمنين ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾

وقال عظمت حكمته ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

وفي الأحاديث الشريفة ما يدل على عظم الأمانة وخطر شأنها: منه ذلك قول الصادق المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك".

وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل لى عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والندور وغير ذلك ا هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على

بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتَمون به من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر اله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء".

روى ابن أبي حاتم بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال "إن الشهادة تكفر الذنب إلا الأمانة يؤتى بالرجل يوم القيامة وإن كان قد قتل في سبيل الله فيقال: أد أمانتك. فيقول: فأنى أؤديها وقد ذهب الدنيا؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي إليها فيحملها على عاتقه. قال: فتنزل عن عاتقه فيهوي على أثرها أبد الأبدين".

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "أربع إذا كن فيك فلا تبالي بما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة طعمة". وقال عليه الصلاة والسلام "لا إيمان لمن لا أمانة له".

وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ إنما جاء الأمر بالحكم مقتربنا بأداء الأمانة لأن الحكم بالعدل أمانة، فمن جار وظلم فقد خان الأمانة، وقد نهى الله تعالى عن خيانتها، فقال ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخُونُوا أَمْسِنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وأمر سبحانه بالعدل فقال: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وبين أن هذا العدل صراط مستقيم فقال ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وهل المستقيم إلا أقرب صلة بين نقطتين، وهذا هو العدل بعينه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وقد بلغ الإسلام في العدل مبلغ الآفاق، وعرف في أرجاء الدنيا شرقا وغربا، بل لقد وصل إلى درجة جعلت على بن أبي طالب وقد كانت بينه وبين يهودي خصومة، كان القاضي فيها عمر، أن غضب على بن أبي طالب عندما ناداه أمير المؤمنين عمر بكنيته فقال له: يا أبا الحسن، وفي الكنية تكريم، كيف يناديه بكنية وينادي على اليهودي باسمه، وقد ورد في الحديث الشريف ما يدعو إلى عدل الحاكم أيا كان موقعه والقاضي أيا كان مكانه، قال ﷺ "إن الله مع الحاكم ما لم يجر فإذا جار وكله إلى نفسه".

وجاء في الحديث أنه يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمني معه أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة "وما من وال يلي أمر عشرة إلا يوم القيامة يده مغلولتان إلى عنقه حتى يفكه العدل أو يوقه الجور".

وقد ورد في كتب الفقه أحكام تتعلق بالعدل والقضاء نرى من الأهمية بمكان أن نسجلها على تلك الصفحات لما لها من وقع مؤثر في حياة الأمة الإسلامية، لقد كان الإمام عبد الله بن عباس يقول: "أكثرنا من ذكر عمر فإنكم إذا ذكرتموه فإنكم ذكرتم العدل، وفي ذكر عمر ذكر الله تعالى، ذلك لأن الله هو الحكم العدل".

جاء في كتب الأحكام الشرعية تحت عنوان (القضاء) ما نصه:
إن العدل قيمة من القيم الإسلامية العليا، ذلك أن إقامة الحق والعدل هي التي تشيع الطمأنينة وتنشر الأمن وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتتمى الثروة وتزيد في الرخاء، وتدعم الأوضاع، فلا تتعرض لخلخلة أو اضطراب، ويمضي كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل والإنتاج، وخدمة البلاد دون أن يقف في طريقة ما يعطل نشاطه، أو يعوقه عن النهوض وإنما يتحقق العدل بإيصال كل حق إلى مستحقه، والحكم بمقتضى ما شرع

اللّه من أحكام، ويتجنب الهوى بالقسمة بين الناس بالسوية، وما كانت مهمة رسل الله إلا القيام بهذا الأمر وإنفاذه، وما كانت وظيفة أتباع الرسل إلا السير على هذا النهج كي تبقى النبوة تمد الناس بظلالها الظليل ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾

القضاء في الإسلام

ومن أهم الوسائل التي يتحقق بها القسط وتحفظ الحقوق وتصان الدماء والأعراض والأموال: إقامة النظام القضائي الذي فرضه الإسلام، وجعله جزءاً من تعاليمه وركيزة من ركائزه التي لا بد منها ولا غنى عنها، وكان أول من تولى هذه الوظيفة في الإسلام الرسول ﷺ، فقد جاء في المعاهدة التي تمت بعد الهجرة بين المسلمين واليهود وغيرهم أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله.

وقد أمره الله عز وجل أن يحكم بما أنزل فقال ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَافِيْنَ حَٰصِمًا ۗ ﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

وتولى قضاء مكة على عهد رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد، كما تولى على بن أبي طالب كرم الله وجهه قضاء اليمن.

روى أهل السنة وغيرهم أن علياً لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً قال: يا رسول الله بعثتني بينهم وأنا شاب لا أدري ما القضاء فضرب رسول الله ﷺ في صدري وقال "اللهم اهده وثبت لسانه".

قال على فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين.

وعن على كرم الله وجهه أن الرسول ﷺ قال: "يا على إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضي بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء".

فيم يكون القضاء؟

والقضاء يكون في جميع الحقوق سواء أكانت حقوقاً لله أم حقوقاً للآدميين وقد أفاد ابن خلدون أن منصب القضاء استقر آخر الأمر على أن يجمع مع الفصل بين الخصوم (استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أحوال المحجور عليهم من المجانين واليتامى

والمفلسين وأهل السنة وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الأيامي عند فقد أوليائهن على رأي من يراه والنظر في مصالح الطرقات والأبنية وتصفح الشهود والأمناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من متعلقات وظيفته وتوابع ولايته).

منزلة القضاء

والقضاء فرض كفاية لدفع التظالم وفصل التخاصم ويجب على الحاكم أن ينصب للناس قاضيا ومن أبى أجبره عليه.

وإذا كان الإنسان في جهة لا يصلح للقضاء غيره تعين عليه ووجب عليه الدخول فيه، وقد رغب الإسلام في الحكم بين الناس بالحق وجعله من الغبطة.

روي البخاري عن عبد الله بن عمر أن الرسول ﷺ قال "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس".

ووعد القاضي العادل بالجنة.

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار".

وعن عبد الله بن أبي أوفى أن النبي ﷺ قال: "إن الله مع القاضي ما لم يجر فإذا جار تخلى الله عنه فإذا جار تخلى الله عنه ولزمه الشيطان".

أما ما جاء من الأحاديث في التحذير من الدخول في القضاء مثل ما رواه سعيد المقبري أن الرسول ﷺ قال: "من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين" فإنها ترجع إلى الأشخاص الذين لا علم لهم بالحق، ولا قدرة لهم على الصدع به، ولا يتمكنون من ضبط أنفسهم، ولا كبح جماحها ومنعها من الميل إلى الهوى.

والذي يرشد إلى هذا حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: "فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا

ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها".

وعن أبي موسى الأشعري قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحدهما: يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل وقال الآخر مثل ذلك، فقال: "لا إنا والله لا نولي هذا العمل أحد يسأله أو أحداً يحرص عليه".

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعاء وكل إلى نفسه ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده".

والخوف من العجز عن القيام بالقضاء على الوجه الأكمل هو السبب في امتناع بعض الأئمة عن الدخول في القضاء.

ومن طريف ما يروي في هذا أن حياة بن شريع دعي إلى أن يتولى قضاء مصر فلما عرضه عليه الأمير امتنع فدعا له بالسيف فلما رأى ذلك أخرج مفتاحا كان معه وقال: هذا مفتاح بيتي ولقد اشتقت إلى لقاء ربي فلما رأى الأمير عزيمته تركه.

من يصلح للقضاء؟

ولا يقضي بين الناس إلا من كان عالما بالكتاب والسنة، فقيها في دين الله، قادراً على التفرقة بين الصواب والخطأ، بريئاً من الجور، بعيداً عن هوى.

وقد اشترط الفقهاء في القاضي أن يبلغ درجة الاجتهاد، فيكون عالماً بآيات الأحكام وأحاديثها، عالماً بأقوال السلف ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه، عالماً باللغة، وعالماً بالقياس، وأن يكون مكلفاً، ذكراً، عدلاً، سمياً، بصيراً، ناطقاً.

وهذه الشروط تعتبر حسب الإمكان، ويجب تولية الأمثل فالأمثل، فلا يصح قضاء المقلد ولا الكافر ولا الصغير ولا المجنون ولا الفاسق ولا

المرأة، لحديث أبي بكر قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس ملكوا بنت كسرى قال: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة".

وقد اشترط الفقهاء أيضا مع هذه الشروط تولية الحاكم للقاضي، فإنها شرط في صحة قضائه، وهذا بخلاف المتداعيين وإذا ارتضيا حكما يقضي بينهما ممن ليس له ولاية القضاء، فقد أجازاه مالك وأحمد.

وقد ذكر الله لنا المثل الأعلى في القضاء فقال جل شأنه ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾

وإذا كان هذا الخطاب موجها إلى داود عليه السلام فهو في الواقع موجه إلى ولاية الأمور، لأن الله لم يذكر ذلك إلا لبيّن لنا المثل الأعلى في الحكم وأن داود وهو نبي معصوم يخاطبه الله بقوله ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فإذا كان النبي وهو معصوم يخشى عليه من اتباع الهوى فأولى بأن يخشى على غيره من غير المعصومين.

وعن أبي بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار: فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار" ومع الكتاب والسنة كان بعض القضاة يرجع في قضائه إلى أقوال الأئمة واختيار الرأي القوي الذي يتفق مع الحق.

أحكام تتعلق بالقضاء

ذكر محمد بن يوسف الكندي أن إبراهيم بن الجراح تولى القضاء في سنة ٢٠٤ هـ، وقد قال عمر بن خالد: ما صحبت أحدا من القضاة كإبراهيم بن الجراح كنت إذا عملت له المحضر وقرأته عليه أقام عنده ما شاء الله أن يقيم ويرى فيه رأيه، فإذا أراد أن يقضي به دفعه إلى

لأنشئ منه سجلاً فأجد في ظهره. قال أبو حنيفة كذا، وفي سطر قال ابن أبي ليلى كذا، وفي سطر آخر قال أبو يوسف، وقال مالك كذا، ثم أجد على سطر منها علامة كالخط أعلم أن اختياره وقع على ذلك القول، فأنشئ السجل عليه.

وقد رأى بعض العلماء إلزام القضاة بالقضاء بمذهب معين منعا للاضطراب ولبلبلة الأفكار قال الدهلوي: إن بعض القضاة لما جاروا في أحكامهم صار أولياء الأمور يلزمون القضاة بأن يحكموا بمذهب معين لا يعدونه ولم يقبل منهم إلا ما يريب العامة ويكون شيئاً قد قيل من قبل.

قضاء من ليس بأهل للقضاء:

قال العلماء: كل من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإن حكم فهو آثم ولا ينفذ حكمه، سواء وافقه الحق أم لا، لأن إصابة الحق اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي، فهو عاص في جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا، وأحكامه مردودة كلها، ولا يعذر في شيء من ذلك.

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ .

هذا أسلوب من أساليب المدح في لغتنا الجميلة، أي نعمة ما يأمركم به الله ويرشدكم إليه، فكل أمر الله خير لكم وكل إرشاد منه فيه سعدكم:

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ﴿١١٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١١٣﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٤﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١١٥﴾

فما بالك إذا كان هذا الأمر النهي هو السميع البصير؟

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، يسمع دبيب
أرجل النملة السمراء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.

يا من يرى مد البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقتها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
ويرى ويسمع ما يري ما دونها في قاع بحر زاخر متجدد

ومن أصدق من الله قيلاً؟ ومن أصدق من الله حديثاً؟ ومن أحسن من
الله حكماً؟ ﴿ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ
تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
ضَعِيفًا ﴿

قوله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

هذه الآية الكريمة مبينة لأصول الدين في الحكومة الإسلامية:

- (١) الأصل الأول: القرآن الكريم والعمل به، هو طاعة الله تعالى.
- (٢) الأصل الثاني: سنة رسوله ﷺ والعمل بها، طاعة الرسول ﷺ.
- (٣) الأصل الثالث: إجماع أولي الأمر، وهم أهل الحل والعقد الذين
تثق بهم الأمة من العلماء والرؤساء في الجيش والمصالح العامة،
كالتجار والصناع والزراع ورؤساء العمال والأحزاب ومديري

للسحف ورؤساء تحريرها، وطاعتهم حينئذ هي طاعة أولى الأمر.

٤) الأصل الرابع: عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والأحكام العامة المعلومة في الكتاب والسنة، وذلك قوله ﴿ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ فهذه الأصول الأربعة هي مصادر الشريعة، ولا بد من وجود جماعة يقومون بعرض المسائل المتنازع فيها على الكتاب والسنة، فمن يختارهم أو لو الأمر من علماء في هذا الشأن، ويجب على الحكام الحكم بما يقرونه.

وبذلك تكون الدولة الإسلامية مؤلفة من جماعتين:
الأولى: الجماعة المبينة للأحكام الذين يسمون الآن (الهيئة التشريعية).

الجماعة الثانية: جماعة الحاكمين والمنفذين، وهم الذين يسمون (الهيئة التنفيذية) وعلي الأمة أن تقبل هذه الأحكام وتخضع لها سرّاً وجهرًا، وهي بذلك لا تكون خاضعة لأحد من البشر، لأنها لم تعمل إلا بحكم الله تعالى أو حكم رسوله ﷺ بإذنه، أو حكم نفسها الذي استنبطه لها جماعة أهل الحل والعقد والعلم والخبرة من أفرادها الذين وثقت بإخلاصهم وعدم اتفاقهم إلا على ما هو الأصح لها.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي ردوا الشيء المتنازع فيه إلى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فإن المؤمن لا يقدم شيئاً على حكم الله، كم أنه يهتم باليوم الآخر أشد من أهتمامه بحفظ الدنيا.

وفي هذا دليل على أن من لا يقدم اتباع الكتاب والسنة على أهوائه وحظوظه فإنه لا يكون مؤمناً حقاً.

﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أي ذلك الرد للشيء المتنازع فيه إلى الله ورسوله خيركم، لأنه أقوى الأسس في حكومتكم، والله أعلم منكم بما هو الخير لكم، ومن ثم لم يشرع لكم في كتابه وعلى لسان رسوله إلا ما فيه مصالحكم ومنافعكم، وما هو أحسن عاقبة لما فيه من قطع عرق التنازع، وسد ذرائع الفتن.

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن "بم تقضي؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله. قال: فإنه لم تجد؟ قال: فبرأيي".

من مواقف المنافقين

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ٦٥، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ٦٦ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ مَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ٦٧ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ٦٨

المفردات:

الزعم في أصل اللغة: القول حقا كان أو باطلا، ثم كثر استعماله في الكذب.

قال الراغب: الزعم حكاية قول يكون فطنة للكذب، وقد جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلين به كقوله ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ﴾ .

وقوله ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ .

والطاغوت: بمعنى الطغيان الكثير.

ضلالاً بعيداً: أي بعيداً صاحبه عن الحق، إذ هو لا يهتدي إلى الطريق الموصلة إليه.

صدوداً: أي إعراضاً متعمد عن قبول حكمك.

إحساناً: أي في المعاملة بين الخصوم.

وتوفيقاً: أي بينهم وبين خصومهم بالصلح.

فأعرض عنهم: أي أصرف وجهك عنهم.

وعظهم: أي ذكرهم بالخير على الوجه الذي ترق له قلوبهم.

قولاً بليغاً: أي يبلغ من نفوسهم الأثر الذي تريد أن تحدثه فيها.

لما أوجب الله تعالى التحاكم إلى كتابه وسنة رسوله في قوله جل شأنه: ﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ .

لما كان ذلك كذلك ألقى الله تعالى باللائمة على قوم زعموا زوراً وبهتاناً أنهم آمنوا بالله ورسوله وآمنوا بما أنزل على الأنبياء من قبله، لكن سلوكهم كان يناقض ما يزعمون، فقد رووا "أن عمر رضي الله عنه كان يمر ذات يوم فوجد رجلين أحدهما يهودي والآخر يزعم أنه مسلم وكان بينهما خصومة، فقال لليهودي: رضيت بمحمد حكماً، وقال الذي يزعم الإسلام: رضيت بكعب بن الأشرف وهو يهودي - حكماً فلما ذهباً إلى رسول الله ﷺ لم يرض المنافق بحكم رسول الله، فلما سمع عمر هذا القول سأل الذي يزعم الإسلام ويريد أن يتحاكم إلى الطاغوت - كعب بن الأشرف - قال لهما: انتظرا حتى أقضي بينكما، وعاد ومعه سيفه، ثم سمع منهما مرة أخرى، ثم سأل

المنافق: هل رددت حكم رسول الله ولم ترض به فضرب عمر عنقه وقال هذا جزاء من لم يرض بحكم رسول الله ﷺ فنزلت الآيات على الصادق المعصوم تبين وقائع هذا الحادث، وفي هذا دليل على أن مجرد الإرادة في التحاكم إلى الطاغوت تعتبر زعماً كاذباً يناهض ما ورد في قوله جل شأنه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

هل هناك عاقل يملك فكراً سليماً يرفض حكم الله ورسوله؟

إن الله تعالى يقرر حال هؤلاء الذين في قلوبهم مرض، وألسنتهم أحلي من العسل، فيقول في شأنهم ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرَضُونَ ﴿١٨﴾ وَإِن يَكُنْ هُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿١٩﴾ أفي قلوبهم مرض أم آرتابوا أم يخافون أن تحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ﴿٢٠﴾ .

فما موقف المؤمنين الصادقين من هذا؟ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢١) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٢﴾ .

هؤلاء المؤمنون هم الذين صدق فيهم قول الله تعالى ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ .

وقول رسول الله ﷺ "ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل".

أما مرضى القلوب من المنافقين فإنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، والطاغوت هو كل من زاد طغيانه وتجاوز حدود الحق، ولم يرض بالله حكماً، ولا برسوله تشريعاً، وقد أمرنا جميعاً أن نكفر به.

إنهم يريدون التحاكم إليه ويريد الشيطان في نفس الوقت أن يضلهم ضلالاً بعيداً، ومع ذلك فإن الله تعالى يدعوهم إليه ويرشدهم إلى الحق وهم مصرون على باطلهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾.

إنهم لا يكتفون بضلالهم، إنما يصدون ويمنعون غيرهم من حكم الله ورسوله، فكيف حال هؤلاء إذا أصابتهم مصيبة بسبب ما قدمته أيديهم من العصيان والمخالفة، فقتل منهم ذلك الذي أراد أن يتحاكم إلى كعب بن الأشرف، إنهم عند نزول المصائب سيأتونك يحلفون الأيمان الكاذبة، ويقولون إنهم ما أرادوا إلا إحساناً وتوفيقاً، وأي إحسان وأي توفيق في الإعراض عن حكم الله ورسوله، والذهاب إلى غيره من الطواغيت، إن الله يعلم ما في قلوبهم؟

فما موقفك أنت يا محمد؟ أعرض عنهم، فإنهم حيات وعقارب تلدغ وهي ناعمة الملمس، والمنافقون في كل زمان ومكان عالة على المجتمع في السراء، وسوس ينخر في عظام الأمة في الضراء، ومع إعراضك عن ألعابهم عظيم لتقطع المعاذير عليهم، وقل لهم في أنفسهم قولاً يبلغ قرار قلوبهم ﴿لَعَلَّآ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

وللمنافقين في القرآن مشاهد يندى لها جبين الحياء خجلاً ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٦﴾ مُدْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾.

ثم يأتي الحكم عليهم في قوله جل شأنه ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ .

ثم يأتي نور الأمل في رحمة الله لمن تاب وأناب، فيقول تبارك وتعالى
﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ
فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

طاعة الرسول

قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿

المفردات:

إذن الله: إعلامه الذي نطق به وحيه وطرق آذانكم، كقوله ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾.

استغفروا الله: أي طلبوا مغفرته وندموا على ما فعلوا.

واستغفر لهم الرسول: أي دعا الله أن يغفر لهم.

يحكموك: يجعلوك حكما ويفوضون الأمر فيه، مأخوذ من التفاض الشجر فإن الشجر تتداخل بعض أغصانه في بعض.

وشجر: اختلف واختلط الأمر فيه، مأخوذ من التفاض الشجر فإن الشجر تتداخل بعض أغصانه في بعض.

حرجا: ضيقا.

قضيت: حكمت.

التسليم: الانقياد والإذعان.

يخبر الله سبحانه وتعالى بأنه ما أرسل رسولا إلا وجبت طاعته على من أرسله إليهم، فإذا ما كان ذلك كذلك فقد حرم عليهم أن يخالفوه لأنه مبلغ عن الله تعالى، فطاعته من طاعة الله، وذلك كله بإذن الله وقدرته ومشيبته وتوفيقيه، وقد جاءت هذه الآية بعد الآيات التي تحدثت عن مواقف المنافقين، وكيف لم يرضوا برسول الله حكما، وهو الذي ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فما كان ينبغي لهؤلاء

المتناقضين أن يخالفوا لرسول الله أمرا، أو يعصوا له حكما، لأن الله تعالى أوجب طاعته على قومه، ومع ذلك فإنه سبحانه لا يقنط أحد من رحمته، فلو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالذنوب ولمخالفات جاءوك يا محمد فطلبوا من الله المغفرة، واستغفرت لهم فإن رحمة الله لن تضيق بهم، لأنه التواب الرحيم، عظيم التوبة، واسع الرحمة، من شأنه المغفرة.

أنت الذي تهب الكثير وتجير القلب الكسير وتغفر الزلات
وتقول هل من تائب مستغفر أو سائل أقضي له الحاجات

وقد ذكر جماعة، منهم الشيخ منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء عرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعا بك إلى ربي ثم نشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في منامي فقال: (يا عتبي، إحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له).

قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

روي الإمام البخاري بإسناده عن عروة قال: خاصم الزبير رجلا في شجار الحرة فقال النبي ﷺ "أسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: "أسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك" فاستوفى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه

الأنصاري وكان أشار عليهما ﷺ بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية.

وهذه الآية الكريمة يقسم فيها سبحانه بذاته وهو رب كل شيء ومليكه - على أن إيمان هؤلاء موقوف على ثلاثة أشياء:

- ١) أن يحكموك فيما شجر بينهم من خصومة ونزاع.
- ٢) ألا يكون في أنفسهم ضيق ولا حرج من قضائك.
- ٣) أن يسلموا ويفوضوا ويذعنوا من غير أن يكون في النفوس أدنى اعتراض.

قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به" وفي هذه الآية دليل على عصمة النبي ﷺ، وأنه لا يقضي إلا بالحق، ولا ينطق عن الهوى.

كما أن فيها دليلا على أن دلائل الإيمان الحق في الرضا بحكمه، وسلامة الصدور من الضيق، والتسليم الكامل الذي لا يشوبه اعتراض أو ضجر.

امتحان ونتائج

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتَنَّهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾

المضردات:

كتبنا: أي فرضنا.

ما يوعظون: أي من الأوامر والنواهي المقرونة بذكر حكمها، وأحكامها والوعد لمن عمل بها والوعيد لمن صد عنها.

والتثبیت: التقوية وجعل الشيء ثابتًا راسخًا.

الإيمان الحق طاعة وتسليم وإذعان، فإذا ما أمر الله أو نهى فالؤمن يمتثل الأمر ويجتنب النهي أيا كان الأمر به والنهي عنه، وقد أخبر الله جل شأنه في هذه الآيات أن هناك نوعا من البشر لم تسلّم قلوبهم ولم تتمكن بشاشة الإيمان من شغاف أفئدتهم، يدل على ذلك أن الله لو أمرهم أن يقتلوا أنفسهم أو يهاجر أحدهم من داره إلى بلد آخر ما فعل ذلك إلا القليل منهم، فإنهم يحرصون على الحياة والإقامة في دورهم، ولو علموا جزاء الامتثال لأمر الله، وفعلوا ما يعظهم الله به لكان ذلك خيرا لهم وأعظم تمكيننا، ولكان لهم عند الله الأجر العظيم، والثبوة الكبرى، وحسبهم أن الله تبارك وتعالى سينعم عليهم بنعمة الهداية إلى الصراط المستقيم، والهداية توفيق وإرشاد وتوجيه قويوم وسداد وفضل من الله وإنعام ورفعة منه وإكرام، قال تعالى ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْسِدًا ﴿٦٨﴾

طاعة الله والرسول

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿٦٦﴾
ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿

المفردات:

الصديق: من غلب عليه الصدق، وقيل من صدق في قوله واعتقاده
كما قال ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾

الشهيد: هو الذي يشهد بصدق الدين تارة بالحجة والبرهان، وأخرى
بالسيف والسنان.

الصالح: من صلحت نفسه وصلاح عمله، وغلبت حسناته سيئاته.

قالت عائشة رضي الله عنها: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنك لأحب إلى من نفسي وأحب من أهلي وأحب إلى من ولدي، وإنني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ يقول: "ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة" وكان في شكواه التي قبض فيها أخذته بحة شديدة فسمعتة يقول ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ فعلمت أنه خير.

وقال ابن جرير: حدثنا المثني ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ الآية. قال: إن أصحاب النبي ﷺ قالوا: قد

علمنا أن النبي ﷺ له فضل على من آمن به في درجات الجنة ممن اتبعه وصدقته، وكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يري بعضهم بعضا، فأنزله الله. في ذلك يعني هذه الآية فقال يعني رسول الله ﷺ إن الأعلى ينحدرون إلى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياض فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويشنون عليه وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به فهم في روضة يحبرون ويتعمون فيه.

ما أعظم نعمة الله على الذين يطيعون الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله تتمثل في اتباع الكتاب والسنة قال سبحانه وتعالى ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ۝ ﴾.

وما من أمة تسير على نهج الله ورسوله إلا كان السعد رائدها، والنصر حليفها، وألبسها الله لباس العز والشرف ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ ﴾.

وما من أمة تتحرف عن هذا المنهج الكريم إلا كان الذل رائدها، والانحطاط سبيلها، وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ ﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝ ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ۝ ﴾.

فما جزاء الذين يطيعون الله في الدنيا والآخرة؟ إنهم مع النبيين في جوار الله في الجنة ومع الصديقين والشهداء والصالحين، ونعم الجوار جوارهم، ونعم الرفيق هذا، ونعم الفضل ذلك، لأنه من الله العليم الذي علم ما في الصدور، وما في النفوس، بل إنه يعلم السر وأخفى من السر.

في حديث قدسي صحيح يقول الله تعالى: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته

عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي تبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولسانه الذي يتكلم به، وقلبه الذي يعي به، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استصرني لأنصرنه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، ويكون جاري في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين".

فاللهم إنا نسألك عيش السعداء، وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر، والظل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة.

توجيه وبيان

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ
انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٦﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ
لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٧٧﴾ .

المفردات:

حذركم: الحذر والحذر: الاحتراس والاستعداد لالتقاء شر العدو.

النفر: الانزعاج عن الشيء وإلى الشيء كالنزوع عن الشيء وإلى
الشيء ومن الأول ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ
إِلَّا نُفُورًا﴾ ومن الثاني نفر إلى الحرب.

الثبات: واحدها: ثبة وهي الجماعة المنفردة.

التبطؤ: يطلق على الإبطاء وعلي الحمل على البطء. والبطء: التأخر
عن الانبعاث في السير.

مصيبة: كقتل وهزيمة.

شهيدا: أي حاضرا معهم.

فضل: كفتح وغنيمة.

قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ .

هذا بيان وإرشاد وتوجيه من الله تبارك اسمه إلى الأمة الإسلامية في
الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، وقد جاء ذلك بعد بيان الأحكام التي
تتعلق ببناء المجتمع، وبناء الفرد والأسرة، وفي ذلك، لتكون الأحكام
شاملة كاملة، والتوجيهات شافية كافية، فالله سبحانه يبين لنا من

الأحكام ما فيه سعادتنا وفوزنا، فبعد حماية الجبهة الداخلية باتباع الأحكام التي تبني المجتمع السليم، يأمر سبحانه وتعالى بحماية الجبهة الداخلية من الأعداء، وذلك بأخذ المسلمين حذرهم واحتراسهم، وذلك بإعداد القوة، وتوحيد الصف، وتوضيح الهدف، قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ .

ويكون ذلك أيضاً ببذل المال في سبيل الله، وإعداد المقاتلين، فمن جهز غازياً في سبيل الله فقد غزى، قال سبحانه ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ .

وقال جل شأنه ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُمْ عَلَىٰ حَتْرَةٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

والإسلام في سياسته الخارجية يدعو إلى السلام إلا إذا اعتدى على أرض الإسلام معتد، أو وطأت أقدام العدو أرض المسلمين، هنا يجب النفير العام، يقول تعالى: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فإن تباطأ المسلمون ألقى عليهم ربهم ذلك التحذير: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَىٰ الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ ﴾ إلا تنفروا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وما غزي قوم في عقر دارهم إلا ضربت عليهم الذلة، وأمة الإسلام أمة دعوة تدعو إلى الله

بالحكمة والموعظة الحسنة، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان، ومن ظلم الإنسان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فإذا وقف لهذه الدعوة بالمرصاد جبار عنيد، أو شيطان مرید، أو أفاق أثيم، وقاتل في سبيل الصد والإضلال، ومنع الناس عن الدخول في هذا الدين، وجب التصدي له، ذلك لأن الإسلام ما استعمل السيف إلا للقضاء على السيف قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

| | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا | لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم |
| جهل وتضليل أحلام وسفسطة | غزوت بالسيف بعد الغزو بالقلم |
| والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا | فالحرب أجدى على الدنيا من السلم |
| فالشـر إن تلقه بالخـير ضقت به | ذرعاً وإن تلقه بالسيف ينحسم |

وقال آخر:

ووضع الندي في موضع السيف بالفتى

مضر كوضع السيف في موضع الندي

وقال شوقي في همزتيه

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| والحرب في حق لديك شريعة | ومن السموم الناقعات دواء |
| وإذا غضبت فإنما هي غضبة | للحسق لا ضغن ولا شحناء |

وقد بين الله للمسلمين أن يأخذوا بأساليب القتال حتى لا يتمكن منهم عدو، فيقول ﴿ فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴾ وذلك حسب ما يعليه عليكم واقع الميدان.

يقول الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآيات ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ أي احترسوا واستعدوا لاتقاء شر العدو بأن تعرفوا حاله

ومبلغ استعداده وقوته، وإذا كان لكم أعداء كثيرون فاعرفوا ما بينهم من وفاق وخلاف، واعرفوا الوسائل لمقاومتهم إذا هجموا، واعملوا بتلك الوسائل، ويدخل في ذلك معرفة حال العدو ومعرفة أرضه وبلاده وأسلحته واستعمالها، وما يتوقف على ذلك من معرفة الهندسة والكيمياء وجر الأثقال، وعلي الجملة اتخاذ أهبة الحرب المستعملة فيها، من طائرات وقنابل ودبابات وبوارج مدرعة ومدافع مضادة للطائرات، إلى نحو ذلك، حتى لا يهاجمكم على غرة، أو يهددكم في دياركم، وحتى لا يعارضكم في إقامة دينكم أو دعوتكم إليه.

وقد كان النبي ﷺ والصحابة على علم بأرض عدوهم، كما كان لهم عيون وجواسيس يأتونهم بالأخبار (قلم المخابرات) ولما أخبروه بنقض قريش للعهد (إخلالهم بشروط المعاهدة في صلح الحديبية) استعد لفتح مكة، ولم يفلح أبو سفيان في تجديد العهد مرة أخرى، وقد كان يظن أن المسلمين لم يعلموا بنكثهم له.

وقد قال أبو بكر لخالد بن الوليد في حرب اليمامة: حاربهم بمثل ما يحاربونك به: السيف بالسيف، والرمح بالرمح.

وما رواه الحاكم عن عائشة "لا يفني حذر من قدر" لا يناقض أخذ الحذر، لأن الأمر بالحذر داخل في القدر، فالأمر به لندفع عنا شر الأعداء، لا لندفع القدر ونبتله، إذ القدر هو جريان الأمور بنظام تأتي فيه الأسباب على قدر المسببات، والحذر من جملة الأسباب، فهو عمل بمقتضى القدر لا بما يضاذه ﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾، أي فانفروا جماعة إثر جماعة بأن تكونوا فصائل وفرقا - إذا كان الجيش كبيرا، أو موقع العدو يستدعى ذلك، أو تنفر الأمة كلها جميعا إذا اقتضت الحال ذلك بحسب قوة العدو.

والخلاصة:

إنكم إما أن تنفروا جماعات جماعات، وإما أن ينفر جميع المؤمنين على الإطلاق بحسب حال العدو وامتنال هذا الأمر يقتضي أن تكون الأمة على استعداد دائم للجهاد، بأن يتعلم كل فرد من أفرادها فنون

الحرب ويتمرن عليها وأن تقتني السلاح الذي تحتاج إليه في هذا النضال، وتعلم كيفية استعماله في كل زمان بما يناسبه.

ومن هذا تعلم أن الحكومة الإسلامية يجب عليها أن تقيم هذا الواجب بنفسها، لا أن تبقى عالة على غيرها، وعلى الأمة أن تساعدوا عليه، بل تلزمها إياه إذا قصرت فيه بعكس ما نراه الآن من تراخي أطرافها، واجتثاث كثير من كورها وأقاليمها .

وقد شدد الدين أيما تشديد في هذا الأمر فجاء مثل هذا في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾.

وجاءت أحاديث كثيرة بهذا المعنى ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ ﴾ أي ليتثاقلن ويتأخرن عن الجهاد والخطاب لجماعة المؤمنين بحسب الظاهر، ومنهم المنافقون وضعفة الإيمان والجبنة، فالمنافقون يرغبون عن الحرب لأنهم لا يحبون أن يبقى الإسلام وأهله، ولا أن يدافعون عنه، ويحموا بيضته، فهم يببطئون عن القتال، ويبطئون غيرهم عن النفر إليه، والجبنة وضعفة الإيمان يببطئون بأنفسهم عن القتال خورا وخوفا من صليل السيوف ومن الكر والفر ومقابلة العدو، وهو شاكي السلاح ثم فصل أحوال هؤلاء الضعفاء فقال:

﴿ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾.

أي قال ذلك المبطئ فرحا بما فعل، حامدا ربه، شاكرا ربه، إذا أصابكم المصيبة من قتل أو هزيمة إن الله قد أنعم على بالعود فلم أكن حاضرا معهم فيصيبني مثل ما أصابهم من البلاء والشدة ﴿ وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبَسْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ أي ولئن من الله عليكم بالظفر، وفتح

البلاد فغنمتم، وأخذتم السبايا والأسرى، ليقولن قول من ليس منكم، ومن لم تجمععه مودة بكم - ليتني كنت معهم فأفوز كما فازوا - فهو قد نسي ما يجب عليه من مد يد المعونة إليكم، وبذل كل ما يمكنه من نفس أو مال ليتم ذلك الظفر، ولكن ضعف إيمانه أو جبنه منعه عن هذا، إذ هذا التمني بعد فوات الفرصة دليل على ضعف العقل، وكونه ممن يشري الحياة الدنيا بالأخرة.

وفي قوله ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ تقريع وتوبيخ باللفظ القول وأرق العبارة، إذ أن قليلا من المودة كان ينبغي أن يمنح مثل هذا التمني، وأن يعد هذا الإحجام نعمة، فهذا يشعر بأن صاحبه لا يرى نعمة الله على المؤمنين نعمة وفضلا عليه، ولا يصيبهم من جهد وبلاء كأنه يصيبه هو، مع أن القرآن يصرح بأن المؤمنين إخوة، والحديث يدل على أنهم كأعضاء الجسم الواحد و كالبنيان يشد بعضه بعضا.

ومن فوائد هذا الأسلوب أنه يؤثر في نفس سامعيه تأثيرا لا يدنو من مثله الطعن بهجر القول، إذ يدعو صاحبه إلى التأمل والتفكير في حقيقة حالة، ومعاتبته نفسه، والتوبة إلى ربه، والرجوع إلى أوامر دينه.

المعاملات بين الأفراد والمجتمع الصالح

قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

وقال ﴿ وَلِتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٢﴾.

وقال: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾.

وقال: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

بين الجار وجاره والصديق وصديقه

قال تعالى:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

قال تعالى ﴿الْأَخِلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِّتَنِي أَنْتَ مَعَ
الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿١٠٤﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿١٠٥﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾.

عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو
ليسكت" (رواه مسلم بهذا اللفظ وروى البخاري بعضه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو
ليسكت" (متفق عليه).

أو ليسكت: قال الشافعي رضي الله عنه لكن بعد أن يتفكر فيما
يريد أن يتكلم، فإذا ظهر له أنه خير محققه لا يترتب عليه مفسدة، ولا
يجر إلى كلام محرم أو مكروه، أتى به.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قلت يا رسول الله إن لي جارين،
فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً" (رواه البخاري).

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن: قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه" (متفق عليه).

ومن رواية لمسلم "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه".
البوائق: الغوائل والشرور.

وقال ﷺ: "كل أربعين دارا جيران: من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله" (رواه الطحاوي).

وقال أيضا: "الجار أحق بشفاعته" (رواه البخاري ومسلم).
أي له الأفضلية في شراء دار جاره.

وقال أيضا: "حق الجار إن مرض عدته وإن مات شيعته وإن افتقر أقرضته وإن أعوز سترته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بناءه فتسد عليه الريح ولا تؤذ به ريح قدرك إلا أن تعرف له منها" (رواه الطبراني).

وقال: "من سعادة المرء المسلم الجار الصالح والمنزل الواسع والمركب الهنيء" (رواه أحمد والحاكم).

وكان النبي ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من جار المقامة فإن جار البادية يتحول" (رواه ابن حبان).

وقال: "من أحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره" (رواه البيهقي).

وقال: "الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل" (رواه الخطيب).

وقال: "ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع وهو يعلم" (رواه البزار).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: "يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة" (متفق عليه).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره" (رواه الترمذي وقال: حديث حسن).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي" (رواه أبو داود والترمذي بإسناد لا بأس به).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" (رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح وقال الترمذي حديث حسن).

الخليل: الصديق

وقال: "أحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا" (رواه الشهاب).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل الجليس الصالح كمثل المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك منه ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه" (رواه أبو داود).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "أن رجلا زار أخا له في قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تُرهبها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله تعالى قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه" (رواه البخاري).

بين العامل ورب العمل

قال تعالى ﴿وَأَيُّهُمْ هُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا

مِنَ الْعِيُونِ ﴿٦٦﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ^ط أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٧﴾.

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقال: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِّنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾.

وقال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا ^ط وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقال: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

وقال: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيكِ آسْتَجِرُهُ﴾.

وقال: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قال: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ^ط قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

وقال: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

وقال: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾.

وقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

وقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

حقوق العمال

المبادئ العامة لصيانة حقوق العمال

(١) العمل شرف:

يقول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾^١ والعمل هنا وفي آيات كثيرة جاء شاملاً للعمل الديني أي تنفيذ أحكام الشريعة ولغيره، وهو في عمومته يشمل العمل الصناعي كما يعرف ذلك من قواعد الاجتهاد في الشريعة ولغيره، فإن العبرة لشمول اللفظ وعمومه.

وكذا ما نذكره من الجزاء الطيب للعمل الحسن يشمل الجزاء المادي في الحياة، وإن كان وارداً في الجزاء الأخروي بل ربما كانت دلالته على الجزاء المادي في الدنيا أقوى، وكان وروده في الجزاء الأخروي مقصوداً منه الإشارة إلى الجزاء المادي في الحياة الدنيا. وقال ﷺ: "إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده".

(٢) العمل نعمة

يقول تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾^٢.

والشكر على النعمة يقتضي حفظها والمداومة عليها .

(٣) العامل مسؤول

يقول تعالى: ﴿ وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^٣.

ويقول ﷺ: "والخادم - العامل - راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته".

وعليه أن يتقن عمله "إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن".

(٤) رب العمل مسؤؤل

يقول عليه السلام "كلكم راع وكلكم مسؤؤل عن رعيته".
ويقول: "إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم".

(٥) لا عمل من غير أجر

يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾.

(٦) الأجر على قدر العمل

يقول تعالى ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا^٤ وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ﴾.

ويقول: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

فإذا رضي العامل مضطراً بأجر دون ما يستحقه وجب أن يدفع له رب العمل ما يستحقه ولا عبرة برضاه في الأجر المخفض، كمن اضطر إلى بيع سلعته بأقل من ثمنها الحقيقي، فإن الإيجار هو بيع المنافع.

(٧) الأجر حق لا منة فيه

يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

(٨) الأجر في حماية الدولة

يقول تعالى: ﴿أَنْي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَى﴾.

ويقول ﷺ: "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه".

ويقول: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة منهم رجل استأجر أجيـرا فلم يوفه أجره".

وفي قصة الخضر في القرآن الكريم ﴿ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾.

وهذا صريح في حماية العامل من العدوان عليه في ماله، وأجره المستحق أصبح مالا له فتجب حمايته

(٩) العمل على قدر الطاقة

يقول عليه الصلاة والسلام "ولا تكلفوهم مالا يطيقون".

ويقول تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

فإذا قررت الدولة - بناء على ما ثبت علميا - من أن العمل يجب أن يكون ثماني ساعات في اليوم أو أكثر من ذلك أو أقل، وجب التقيد بذلك، فإذا أراد رب العمل تشغيل العامل أكثر من ذلك وجب إعطاؤه الأجر الإضافي عليه، ويكون داخلا تحت قوله عليه السلام في تنمة الحديث السابق "فإذا كلفتموهم فأعينوهم" وإعطاء الأجر على العمل الإضافي إعانة بلا ريب.

(١٠) حق العامل في تأمين نفقاته

للعامل حق في تأمين نفقاته العائلية لأن ذلك من كرامته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يعطي الأهل حظين ويعطي الأعزب حظا واحدا، وهذا تقدير لحق الإنسان في كفاية المعيشة ويقول ﷺ "من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا، أو ليس له زوجة فليتزوج، أو ليس له دابة فليتخذ دابة".

وهذا وإن كان واردا في حق موظفي الدولة، إلا أن العلة التي اقتضت حصول الموظف على ذلك وهي تحقيق كفايته للقيام بعمله بأمان واستقرار، تقتضي شمول هذا الحكم للعامل، وليس معنى ذلك

أن رب العمل ملزم بإعطائه ما يحتاج إليه من نفقات ولو كان أكثر مما يستحق من أجر عادل، بل معنى ذلك أن على الدولة أن تضمن للعامل هذا الحق إذا كان أجره العادل لا يكفيه.

(١١) حق العامل في الراحة

يقول عليه الصلاة والسلام "إن لنفسك عليك حقا، وإن لجسدك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لعينك حقا" وهذا يعطي العامل حقا في الراحة وأداء العبادة والقيام بحق الزوجية والأبوة.

(١٢) للعامل حماية المجتمع

لقد ضمنت قوانين التكافل الاجتماعي في الإسلام حق المواطن في تأمين معيشته وكرامته عند العجز والمرض والشيخوخة، كما ضمنت له حق حماية أسرته بعد وفاته إن مات من غير ثروة "من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ضياعا - أي ورثة - أو كلا - أي ذرية ضعافا - فليأتني فأنا مولاه".

وفي رواية "قال الله ورسوله".

قال أبو عبيد (الكل: كل عيل والذرية منهم، فجعل لله للذرية في المال (مال الدولة) حقا ضمنه لهم).

هذه الجملة من المبادئ التي ضمن بها الإسلام حقوق العمال وتوفير الحياة الكريمة لهم ولأسرهم في حياتهم وبعدها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم عذر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا، فاستوفى منه، ولم يعطه أجره" (رواه البخاري).

وعن أبي على سويد بن مقرن رضي الله عنه قال: "لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن مائنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعتقها" (رواه مسلم).

وفي رواية "سابع أخوة لي".

وعن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي: اعلم أبا مسعود، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام . فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا.

وفي رواية: فسقط السوط من يدي من هيئته.

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى. فقال: "أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار" (رواه مسلم بهذه الروايات).

وعن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه، وعليه حلة، وعلي غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، فذكر أنه ساء رجلا على عهد رسول الله صلى إخوانكم، وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم" (متفق عليه).

الحلة: بضم الحاء وتشديد اللام : ثوب مركب من ظهارة وبطانة من جنس واحد .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين؛ فإنه ولي علاجه" (رواه البخاري).

الأكلة : بضم الهمزة: هي اللقمة.

وقال ﷺ: "من خيب خادما على أهله فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا" (رواه البيهقي).

خيب: أفسد

وروي النسائي: أن النبي ﷺ نهى عن استئجار الأجير حتى يتبين له أجره.

وقال ﷺ: "ظلم الأجير أجره من الكبائر" (رواه أحمد).

وقال: "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه" (رواه أبو يعلى).

وقال: "لا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم، فإن لها آجالاً كآجال الناس" (رواه أبو نعيم الطبراني).

وقال أيضاً "البطالة تقسي القلب" (رواه الشهاب).

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "إن العبد إذا نصح لسيدته، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين" (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ "للعبد المملوك المصلح أجران، والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله، والحج، وبرأمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك" (متفق عليه).

وعن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "المملوك الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي إلى سيده الذي عليه من الحق، والنصيحة، والطاعة، له أجران" (رواه البخاري).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ "ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بمحمد، والعبد المملوك إذا أدى حق الله، وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم اعتقها فتزوجها، فله أجران" (متفق عليه).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أيما عبد أبق، فقد برئت منه الذمة" (رواه مسلم).

وعنه عن النبي ﷺ "إذا أبق العبد، لم تقبل منه صلاة" (رواه مسلم).

وفي رواية: "فقد كفر".

بين المزارع والفلاح

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يزرؤه أحد إلا كان له صدقة" (رواه مسلم).

وفي رواية له "فلا يغرس المسلم غرساً، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة".

وفي رواية له "لا يفرس مسلم غرسا، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شئ إلا كانت له صدقة" (ورواه جميعاً من رواية أنس رضي الله عنه).

قوله يزرؤه: أي ينقضه.

وقال ﷺ "فاستطاع أن لا يقوم حتى يفرسها فليفرسها فله بذلك أجر" (رواه أحمد).

وقال "اطلبوا الرزق في خبايا الأرض" (رواه أبو يعلى).

وقال "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" (رواه أبو داود والطوسي).

وقال "من زرع أرضاً بغير إذن أهلها فله نفقته وليس له من الزرع شئ" (رواه أحمد).

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ إن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرض، غرس أحدهما فيها نخلاً والأرض للآخر، فقضى رسول الله ﷺ بالأرض لصاحبها، وأمر صاحب النخل أن يخرج نخله وقال "ليس لعرق ظالم حق" (رواه أبو داود وإسناده حسن).

قال أبو الوليد الطيالسي: العرق الظالم: الغاصب الذي يأخذ ما ليس له: الرجل الذي يفرس في أرض غيره، وفي المغرب: أي لذي عرق ظالم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال "من استأجر أجيراً فليس له أجرته" (رواه عبد الرزاق وفيه انقطاع ووصله البيهقي من طريق أبي حنيفة).

بين العالم والمتعلم

قال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾.

وقال ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ قَالَ يَتَّادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾

وقال ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيَتَّخِصَّكُمْ مِنْ بَآسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شٰكِرُونَ ﴿٢٠﴾

وقال ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

وقال ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمٰنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ ﴿٢٢﴾

وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنٰتِ وَهُدًى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتٰبِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ ﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٤﴾

وقال ﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطٰنَ كَفَرُوٓا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴿٢٥﴾

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم".

ثم قال رسول الله ﷺ: "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير" (رواه الترمذي وقال حديث حسن).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" (متفق عليه).

من حمر النعم: أي من الإبل الحمر وهي أشرف أموال العرب

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من دعا إلى هدى كان من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً" (رواه مسلم).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع" (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

نضر الله امرءاً: بالضاد المعجمة أي نعم، من النضارة وهي الحسن والمراد حسن خلقه وقدره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار" (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" (رواه مسلم).

المتعلم

قال تعالى ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
 أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

وقال ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٦﴾

وقال ﴿ وَالطُّورِ ﴿٧﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٨﴾ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ﴿٩﴾

وقال ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٠﴾

وقال ﴿ فَسَعَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

وقال ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ
 رُسُدًا ﴿١٢﴾

وقال ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴿١٣﴾

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سلك طريقا بيتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" (رواه أبو داود والترمذي).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما قيعان، لا تمسك ماء، ولا تتبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما يغشى الله به، فعلم وعلم،

ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" (متفق عليه).

الغيث: المطر.

الكلأ: بفتح أوليه: المرعى.

العشب: بضم العين وسكون الشين: الكلأ الرطب في أول الربيع.

الأجادب: بالجيم والبدال المهملة: الأرض لا تثبت.

بين البائع والمشتري والدائن والمدين

قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْمُومُوا أَنْ تَكْتُوبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبَهَا ۗ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝۱۰۰﴾.

وقال ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۗ﴾.

وقال ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً عَنِ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۗ﴾.

وقال ﴿ وَإِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَنْقَوْمِ اأَعِدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۗ﴾.

وقال ﴿ التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة ﴾ (رواه الترمذي وابن ماجه).

وقال "دع الناس يرزق بعضهم بعضاً" (رواه البيهقي).

وقال "عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق" (رواه أحمد).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى" (رواه البخاري).

سمحاً: أي سهلاً.

إذا اقتضى: أي طلب قضاء حقه بسهولة.

وعن أبي خالد حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما" (متفق عليه).

محقت بركة بيعهما: أي ذهبت ولم يحصل إلا على التعب.

وقال ﷺ: "إن الله تعالى يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر فإذا خانه خرجت من بينهما" (رواه أبو داود).

وقال "إذا اختلف البيعان، فالقول ما قال البائع فيما أن يرضى المشتري أو يترادان البيع" (رواه أبو حنيفة).

وقال ﷺ "إذا ضاع للرجل متاع أو سرق له متاع فوجده في يد رجل يبيعه فهو أحق به، ويرجع المشتري على البائع في الثمن" (رواه ابن ماجة).

وقال "أيما رجل أفلس فأدرك رجل ماله بعينه فهو أحق به من غيره" (رواه الترمذي).

ومر النبي ﷺ على رجل ومعه ثوب يبيعه، وكان الرجل طويلاً والثوب قصيراً فقال: "اجلس فإنه أنفق لسلمتك" (رواه الطوسي).

ونهي رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين وعن بيع الغرر أي البيع بالخداع.

وعن أنس رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه (متفق عليه).

بيع حاضر لباد: هو أن يجئ البلد غريب بسلعته يريد بيعها بسعر الوقت الحال فيأتين بلدي فيقول له: ضعه عندي لأبيعه لك على التدرج بأغلى من هذا السعر .

ونقل ابن المنذر عن الجمهور أن النهي للتحريم بشرط العلم بالنهي وأن يكون المتاع المطلوب مما يحتاج إليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "لا تلتقوا السلع حتى يهبط بها إلى الأسواق" (متفق عليه).

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم قال: فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات. قال أبو ذر خابوا وخسروا!! من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفقة سلعته بالحلف الكاذب" (رواه مسلم).

وفي رواية: "المسبل إزاره".

والمسبل أي: المرخي لثوبه خيلاء.

والمنان: الذي يذكر إحسانه ممتنا به على المحسن إليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الحلف منفق للسلعة، ممحقة للكسب" (متفق عليه).

الحلف منفقة: بفتح الميم والفاء من النفاق وهو الرواج.

والسلعة: بكسر السين المهملة واللام المهملة البضاعة.

وقوله ﷺ: ممحقة للكسب أي مذهبة للبركة والزيادة.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفقه ثم يمحقه" (رواه مسلم).

وقال أيضا "لا يحل لامرئ مسلم، يبيع سلعته، يعلم أن بها داء إلا أخبر به".

وقال رسول الله ﷺ "لا تشوبوا اللبن للبيع".

أي لا تخلطوا اللبن بالماء عند البيع .

وقال أيضا "المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم إذا باع من أخيه بيعا فيه عيب إلا بينه".

وقال "المؤمنون بعضهم لبعض نصحة، وادون وإن بعدت منازلهم وأبدانهم، والفجرة بعضهم لبعض غششة متخاونون وإن اقتربت منازلهم وأبدانهم".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا" (رواه مسلم).

ومن رواية له أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فتالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله قال: "أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس! من غشنا فليس منا".

صبرة: بضم الصاد وسكون الموحدة جمعها صبر كغرفة وغرف.

أصابته السماء: أي المطر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "من اشترى طعاما فلا يبيعه حتى يستوفيه قال: وكنا نشتري الطعام من الركبان جزافا فتهاتا رسول الله ﷺ أن نبيعه حتى ننقله من مكانه" (رواه مسلم).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع النخل حتى يزهو وعن السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة ونهى البائع والمشتري" (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا وعلى الذي يركب ويشرب النفقة" (رواه البخاري).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "من اشترى طعاما فلا يبيعه حتى يكتاله" (رواه مسلم).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر" (رواه أحمد وأشار أن الصواب وقفه).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن تباع ثمرة حتى تطعم، ولا يباع صوف على ظهر، ولا لبن في ضرع (رواه الطبراني في الأوسط والدارقطني).

وعن جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ عن المحاقلة والمزينة والمخابرة والمعاومة وعن الثيا ورخص في العرايا (رواه مسلم).

المحاقلة: الزراعة التي في عقدها غرر أو جهالة.

المخابرة: المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع كالثالث أو الربع.

المزينة: بيع الثمر بالثمر.

المعاومة: بيع تمر النخل والشجر سنتين وثلاثا فصاعدا.

الثيا: أن يبيع ثمر بستان إلا جزءا غير معلوم المقدار.

العرايا: النخلة والنخلتان يأخذها أهل البيت بخرصها تمرا يأكلونها رطباً.

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيع السنين وأمر بوضع الحوائج.

بيع السنين: أي بيع ما يحمله الشجر لعدة سنين .

وضع الحوائج: أن يسامح البائع في ثمن ما تلف بجائحة أو نكبة أو آفة.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ "لو بعث من أخيك ثمرا فأصابته بجائحة، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا بم تأخذ مال أخيك بغير حق؟" (رواه مسلم).

وقال "الجالب مرزوق والمحتكر ملعون" (رواه ابن ماجة والطوسي).

وقال "من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس والجدام" (رواه أحمد وأبن ماجة).

وقال "من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه، وأيما أهل عرصة بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله" (رواه أحمد والحاكم).

ومر ﷺ بالمتحكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج إلى بطون الأسواق وحيث تنظر الأبصار إليها، فقليل له؛ لو قومت عليهم، فغضب حتى عرف الغضب في وجهه فقال: أنا أقوم عليهم؟ إنما السعر إلى الله يرفعه إذا شاء ويخفضه إذا شاء (رواه الطوسي).

وقال "لا يحتكر إلا خاطئ" (رواه مسلم).

وعن جابر رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال هم سواء" (رواه مسلم).

وعن عبد الله بن حنظلة عن رسول الله ﷺ قال: "درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنيه" (رواه أحمد والطبراني).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبر بالبر والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل، يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطى فيه سواء" (رواه مسلم).

وقال: ﷺ "العارية مؤداة والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم".

العارية: الشيء المستعار لينتفع به.

المنحة: ناقة تستعار ليستفاد من نتائجها ثم ترد إلى صاحبها.

الزعيم: الضامن أو الكفيل.

غارم: ضامن.

وقضى رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية (رواه الحاكم).

وقال ﷺ "إياكم والدين فإنه هم بالليل ومذلة بالنهار" (رواه ابن بابويه والبيهقي).

وقال "لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الدين" (رواه أحمد).

وقال "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه" (رواه أحمد).

وقال "لا يباع الدين بالدين" (رواه الطوسي).

وقال "رأيت على باب الجنة مكتوب: القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر، فقلت: يا جبريل ما بال القرض أعظم أجرا؟ قال: لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج، وربما وقعت الصدقة من غني" (رواه الطبراني).

وعن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنين، فقال النبي ﷺ: "من أسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم" (رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ مسلم).

والمعنى: أن المسلم والسلف جائز وهو أن آخذ منك سلعة محددة المعالم لا رد مثلها تماما في وقت معين دون امتياز ولا فائدة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على ملئ فليتبع" (متفق عليه).

أتبع: أحيل.

الملئ: الغني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغظ له، فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ "دعوه فإن لصاحب الحق مقالا" ثم قال "أعطوه سنا مثل سنه" قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه. قال: "أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء".

يتقاضاه: أي يطلب عنه قضاء ماله عنده.

وقوله: فهم به أصحابه: أي أن يفعلوا به جزاء إغلاظه.

الأمثل: الأعلى.

وقال "أرفقوا وترافقوا، ولييسر بعضكم على بعض، فلو يعلم طالب الحق ماله في تأخير حقه لكان الطالب هو الهارب من المطلوب" (رواه البخاري).

وقال "إذا أقرض الرجل فلا يأخذ هديته".

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "من سره أن ينجيح الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه" (رواه مسلم).

من سره: أي من أفرجه.

فلينفس عن معسر: أي ليؤخره إلى ميسرة أو يضع عنه أي من الدين.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من أنظر معسرا، أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله" (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "كان رجل يداين الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه" (متفق عليه).

وعن أبي مسعود البدر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرا، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه" (رواه مسلم).

يخالط الناس: أي يعاملهم بالبيوع والمداينة.

قال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ ۗ ﴾ .

وقال ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ ﴾ .

عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد
بعضه بعضاً" (أخرجه البخاري ومسلم).

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ "مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الجسد بالسهر والحمى" (أخرجه البخاري ومسلم).

والحديث الأول فيه تشبيه رائع: تكون اللبنة وحدها ضعيفة يسهل
كسرها ولكنها مع أختها في الجدار تصبح شيئاً صلباً يستعصي على
الجبارين أحياناً.

وفي الحديث الثاني تشبيه أيضاً يصور شدة الحساسية وسرعة
الاستجابة بين المؤمنين كما يحدث بين أعصاب الجسد وأجهزته
المترابطة .

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ "المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو
المؤمن، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه" (رواه أبو داود).

أي بمنزلة المرآة لأخيه يظهر له ما خفى عليه مما يضره، كما تظهر
المرآة خفايا الوجه كما أنه مسؤول عن أمنه وسلامته ويدفع عنه الغيبة.

وقال ﷺ "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فاردده وإن
كان مظلوماً فانصره" (رواه البخاري).

وعن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا" (متفق عليه).

فقد غزا: أي هو مثله في الأجر والثواب.

وخلف: بفتح الخاء المعجمة وتخفيف اللام أي قام بما يحتاجون إليه.

وقال ﷺ "إن لله عبادا اختصهم لحوائج الناس يفرع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله" (رواه الطبراني).

وعن علي كرم الله وجهه قال: قال لي رسول الله ﷺ "يا علي إن الله تعالى خلق المعروف، وخلق له أهلا فحببه إليهم، وحبب إليهم فعاله، ووجه إليهم طلابه، كما وجه الماء في الأرض الجدبة لتحيا به، ويحيا به أهلها إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة"

النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

وقال ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٠٦﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وقال ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِمُ اتَّخَذْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

وقال ﴿ وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝

وعن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة قلنا: لمن؟" قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" (رواه مسلم).

الدين النصيحة: أي عماد الدين وقوامه النصيحة وهي كلمة جامعة معناها: حيازة الخير للمنصوح له.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على أقيام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم (رواه مسلم).

وقال ﷺ "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهم قلب المؤمن: إخلاص العمل والنصيحة لولي الأمر، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائه" (رواه أحمد والترمذي).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (رواه مسلم).

وقال "الأمر بالمعروف كفاعلة" (رواه الديلمي).

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتتهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" (رواه الترمذي وقال حديث حسن)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك

ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ إلى قوله ﴿فَنَسُقُونَ﴾ ثم قال: كلا، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم" (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن).

هذا لفظ أبي داود، ولفظ الترمذي: قال رسول الله ﷺ "لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم ووكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون" فجلس رسول الله ﷺ، وكان متكئا فقال: لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا".

قوله تأطروهم: أي تعطفوهم.

لتقصرنه: أي لتحبسنه.

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" (رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة).

فلم يأخذوا على يديه: أي لم يمنعوه من الظلم باليد، أو باللسان، أو بالقلب.

بعقاب منه: يقع على الظالم لظلمه، وعلي غيره، لإقراره عليه وقد قدر على منعه ولم يفعل.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن).

وعن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فرعا يقول "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث" (متفق عليه).

الخبث: الفسوق والفجور.

وفي حديث أن الخبيث إذا كثرت فقد يحصل الهلاك العام. وإن كثرت الصالحون، فقيه بيان شؤم المعصية والتحريض على إنكارها.

السكوت عن المنكرات سبب في البلاء العام

عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا" (رواه البخاري).

وقال ﷺ "يا أيها الناس مروا بالمعروف، وانها عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأمر بالمعروف لا يقرب أجلا، وإن الأحبار من اليهود والنصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم وعمهم البلاء" (رواه الطبراني).

وقال "لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يكون فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عالم بما ينهى، عدل فيما ينهى". (رواه الديلمي).

وقال "لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك" (رواه الحاكم).

وقال "كفى بالمرء إثما إذا قيل له اتق الله غضب" (رواه الطبراني).

وقال "أقبل الحق ممن أتاك صغيرا أو كبيرا وإن كان بغیضا، وارد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان حبيبا قريبا" (رواه الديلمي).

وقال "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر" (رواه الترمذي).

وقام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ وقال: "يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا، يا صفية عمه رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليمان ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا" (رواه مسلم).

وقال "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلي الناس كافة، والله لتموتن كما تتامون، ولتبعن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعلمون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا، أو لنار أبدا" (رواه ابن الأثير).

وقال ﷺ "من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبيده له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه" (رواه أحمد).

وقال "يكون في آخر الزمان قوم يحضرون السلطان فيحكمون بغير حكم الله ولا ينهونه فعليهم لعنة الله" (رواه الديلمي).

وقال "إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإن فعلوا ذلك عذب الخاصة والعامة" (رواه أحمد والطبراني).

وقال "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه" (رواه ابن دلال والديلمي).

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة من كلمة يزيد الله بها هدى، أو يرده بها عن ردى".

تحذير من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم يخالف قوله فعله

قال تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

وقال ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾.

وقال ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَحَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" (رواه مسلم).

حواريون: هم خالصان الأنبياء وأصفياؤهم.

تخلف: أي تحدث.

وخلوف: جمع خلف (بإسكان اللام) وهو الخالف بشر.

وعن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة، رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية" (متفق عليه).

قوله تندلق: هو الدال المهملة ومعناه تخرج.

الأقتاب: الأمعاء واحدها قتب.

الإصلاح بين المؤمنين والمواطنين

قال تعالى ﴿ وَإِنْ طَافِئَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^ط
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ ﴾^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿

وقال ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

وقال ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة" (متفق عليه).

ومعنى تعدل بينهما: تصلح بينهما بالعدل.

ومعنى سلامي: السلامي بضم السين وتخفيف اللام: أصله عظام الأصابع وسائر الكف ثم استعمل في سائر عظام البدن ومفاصله.

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه، فحبس رسول الله ﷺ وحانت الصلاة، فجاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قد حبس، وحانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت، فأقام بلال الصلاة، وتقدم أبو بكر فكبر وكبر الناس، وجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف حتى قام في الصف، فأخذ الناس في التصفيق، وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت، فإذا رسول الله ﷺ فأشار إليه رسول الله ﷺ فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده فحمد الله، ورجع القهقري وراءه حتى قام في الصف، فتقدم رسول الله ﷺ، فصلى بالناس، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: "أيها الناس ما لكم حين نأبكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيق؟ إنما التصفيق للنساء من نابه شيء في صلاته فليقل سبحان الله، فإنه لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله، إلا التفت يا أبا بكر: ما منعك أن تصلي بالناس حين أشرت إليك؟ فقال أبو بكر: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بالناس بين يدي رسول الله ﷺ" (متفق عليه).

حبس: أمسكوه ليضيّفوه.

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا" (متفق عليه).

ينمي خيرا: أي بلغ خيرا فيه خير.

وفي رواية مسلم زيادة: قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث، تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

وقال ﷺ "إن الله عز وجل أحب الكذب في الصلاح وأبغض الصدق في الفساد" (رواه ابن بابويه).

المبادرة إلى فعل الخيرات

قال تعالى ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾.

وقال ﴿ وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾.

وقال ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾.

وقال ﴿ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "بادروا بالأعمال الصالحة، فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا" (رواه مسلم).

كقطع: بكسر مفتح أي طائفة.

من الليل المظلم: أي كلما ذهب ساعة منه مظلمة عقبها ساعة مثل ذلك.

بعرض من الدنيا: العرض بفتح الراء: المتاع.

وفي الحديث إشارة إلى تتابع الفتن المضلة أواخر الزمان، وكلما انقضى منها فتنة عقبها أخرى، نسأل الله السلامة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال والله لأنحن هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة" (رواه مسلم).

القيادة الصالحة

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾.

وقال ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾.

وقال ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

وقال ﷺ "إذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها. وإذا كانت أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها" (رواه الترمذى).

وروي الحسن قال: قال رسول الله ﷺ "إذا أراد الله بقوم خيرا ولى أمرهم الحكماء، وجعل المال عند السمحاء، وإذا أراد الله بقوم شرا، ولى أمرهم السفهاء، وجعل المال عند البخلاء" (رواه أبو داود).

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة، وقلبه واعيا".

التكافل الاجتماعي

قال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

وقال ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

وقال ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

التكافل الاجتماعي في الإسلام

يقول الدكتور مصطفى السباعي في بحثه عن التكافل الاجتماعي في شريعة الإسلام:

الناس في مجتمعهم الذي يعيشون فيه يحتاج بعضهم إلى بعض في كل شؤون الحياة، وهم في مجموعهم يؤلفون قوة متماسكة لا تبدو في تمامها واكتمالها إلا بقوة كل فرد من أفرادها وسعادته، كالجيش لا تتم له قوة كاملة إلا إذا كان كل فرد فيه قويا في جسمه ومعنوياته، وبمقدار ما تتوفر السعادة لكل فرد فيه يعتبر سعيدا .

وقد فطن العالم في عصره الحديث إلى هذه الحقيقة، وبدأ ينادي بالتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ولكنه قصر مفهوم التكامل الاجتماعي على تحقيق المطالب المعاشية للفئات المحرومة من الغذاء والكساء والسكن وما أشبهها.

بيد أن الإسلام قد فطن إلى هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً، فبعد أن قرر لكل مواطن تلك الحقوق الخمسة وهي:

حق الحياة – حق الحرية – حق العلم – حق الكرامة – حق التملك.

والتي لا تتم كرامة الإنسان وسعادته بفقدان واحد منها، نظر إلى الذين تحول ظروف الحياة بينهم وبين تمتعهم بها، فاعتبر المجتمع هو المسؤول عن تحقيقها لهم، ومن هنا انبثقت فكرة (التكافل الاجتماعي).

والإسلام حين ينادي بفكرة (التكافل الاجتماعي) لا يجعله قاصراً على المطالب الغذائية أو السكنية أو الكسائية وما أشبهها فحسب، بل يجعله شاملاً للحقوق الخمسة التي أشرنا إليها، وبذلك جاءت فكرته عن (التكافل الاجتماعي) شاملة لكل نواحي الحياة المادية والمعنوية.

مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام

يتجلى إعلان الإسلام لمبدأ التكافل الاجتماعي في نصوص كثيرة من القرآن والسنة :

- (١) فمن القرآن الكريم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.
- (٢) وجاء في القرآن الكريم ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾.
- (٣) وجاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" وهذا نص في تكافل المجتمع ومسئولية أفراده عن آلام فرد واحد منه لا نرى معه حاجة إلى زيادة في الشرح والإيضاح.
- (٤) وجاء في الحديث الصحيح عنه أيضاً "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" ثم شبك رسول الله ﷺ أصابعه تأكيداً لمعنى

"يشد بعضه بعضاً" وهذا أيضاً مما لا يحتاج إلى شرح دلالته على مبدأ التكافل الاجتماعي.

(٥) ولعل أروع ما جاء في الحديث عن وضع قواعد التكافل الاجتماعي قوله ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

أنواع التكافل الاجتماعي في الإسلام

(١) التكافل السياسي

وقد قرر الإسلام أن كل مواطن له حقه السياسي، وله حقه في المراقبة والنصح لأولياء الأمور لأنه مسؤول عن مستقبل الأمة، وما كان كذلك فالمجتمع كله متكافل في تأييد السياسة الرشيدة، وإنكار الفساد والانحراف فيها، ويدخل ذلك تحت عموم قوله صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" ويؤكد قوله ﷺ "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم" ومن هنا أجمع الفقهاء على أنه إذا أجاز مسلم، رجلاً حربياً وأعطاه الأمانة، فقد أصبح هذا الأمان محترماً تلزم به الدولة مهما كان المجير علماً أو جاهلاً، قوياً أم ضعيفاً، رجلاً أم امرأة، إلا إذا اقتضت مصلحة الدولة خلاف ذلك.

ويؤيد هذا أن أم هانئ قد أجات رجلاً مشركاً في فتح مكة وأراد بعض المسلمين أخذه وقتله لأنه محارب، فترافعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال الرسول مخاطباً أم هانئ "قد أجرنا من أجات يا أم هانئ" وكف المسلمون عنه.

(٢) التكافل الدفاعي

وذلك أن كل مسلم في الدولة عليه أن يتكافل مع بقية مواطنيه بالدفاع عن سلامة البلاد، وعليه النفير إذا أغار عدو مغير على ناحية منها بحيث أصبحت الأمة في حالة استنفار، وفي ذلك نزل قوله تعالى
أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴿١٠٤﴾.

ولا يعفيه من هذا الواجب مقام ولا منزلة إلا أن يكون به مرض، أو عرج، أو عذر من الأعدار وإذا كان الإسلام قد فرض علينا واجب التكافل الدفاعي لرد الأعداء المعتدين عن ديار الإسلام والمسلمين فقد أوجب علينا أيضاً أن لا ننف موقف اللامبالاة من اقتتال الإخوة من أجل قطعة أرض أو عرض من أعراض الدنيا الزائلة، والرسول عليه السلام يقرر بوضوح "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار".

وعلى الأمة المسلمة أن تحول دون هذا الاقتتال بأي ثمن، وعليها أن لا تقف موقف الحياد من الصراع، والاقتتال، بين الإخوة، والقرآن الكريم يقرر بكل حزم ﴿ وَإِنْ طَافَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ مُجِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^٤ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۗ

التكافل الجنائي

وذلك أنه إذا جنى جان على إنسان ما ولم يعرف قاتله. لزم الشارع أن ينظر إلى المكان الذي وجد فيه القتيل، فيختار أولياء الدم خمسين رجلاً من ذلك المكان يقسمون أنهم لا يعرفون القاتل ولا يؤونه عندهم، فإذا أقسموا حكم الشارع بدية القتيل، تعطى لأوليائه، فإن عجز المحكوم عليهم بالدية عن دفعها، دفعها بيت المال.

وكذلك الحكم في كل من وجبت عليه دية قتيل وعجز هو وعائلته عن دفع الدية، لزمت الدية بيت المال.

وفي نظام القسامة الذي ذكرناه في مكان آخر، وفي إلزام بيت المال بالدية عند العجز معنى واضح من معاني التكافل في تحمل آثار الجرائم، لأن بيت المال هو خزانة الشعب، ففي إلزامه بدفع الدية تحمل لكل فرد في الأمة آثار تلك الجناية.

ومن هنا جاء المبدأ الرائع في أحكام الجنايات (لا بطل دم في الإسلام) ومعناه لا تقع جريمة قتل في المجتمع الإسلامي دون أن يقتص من فاعلها فإذا لم يعرف القاتل استحق القتل دية قتلهم إما من بيت المال وإما من أهل القسامة.

٤) التكافل الأخلاقي

يعتبر الإسلام المجتمع مسئولاً عن صيانة الأخلاق العامة لأن بها حفظه من الفوضى والفساد والانحلال، وبذلك وجب أن ينكر المجتمع على مرتكبي المنكرات الخلقية وغيرها، ولا يعتبره الإسلام تدخلا في الحريات الشخصية لأن الفساد والمنكر يأتي على بنيان الأمة من القواعد، ولم يفهم أحد في الشرق أو الغرب حتى الآن أن من معنى الحرية أن تسمح لكل إنسان في أن يهدم بيتك الذي تسكنه!

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلا بديعا للتكافل الأخلاقي في الأمة، ذلك التكافل الذي يأخذ على أيدي العابثين والمخربين بقوله "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقتنا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم (منعوه من خرق السفينة) نجوا ونجوا جميعا".

ولهذا التكافل الأخلاقي جاء الرسول ﷺ يقول "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

٥) التكافل الاقتصادي

يولي الإسلام عنايته الكبرى باقتصاد الأمة، فيعمل على حفظ ثروات الأفراد من الضياع والتبذير، ويمنع سوء استعمال الاقتصاد الوطني بالاحتكار والتلاعب بالأسعار والغش في المعاملات، وغير ذلك، ولهذا أوجب على الدولة أيضا منع المجانين والمعتوهين والسفهاء والمبذرين

من التصرف بأموالهم حتى يعقلوا أو يثوبوا إلى الرشد، وفي ذلك جاء قوله ﷺ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ۖ

٦) التكافل العلمي

أوجب الرسول ﷺ على العالم أن يعلم الجاهل، وعلى الجاهل أن يتعلم من العالم، فقال عليه السلام "العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعد".

وخطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال "ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة!".

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم".

أرملوا: فرغ زادهم، أو قارب الفراغ.

وعن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن النبي ﷺ قال "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس".

الصفة: الظلة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم في مؤخرة مسجد المدينة المنورة يأوي إليها من لا أهل له ولا صاحب من الفقراء.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "طعام الاثني كإثني الثلاثة وطعام الثلاثة كإثني الأربعة" (متفق عليه).

وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال رسول الله ﷺ "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له".

فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل (رواه مسلم).

فضل ظهر: أي مركوب فاضل عن حاجته.

فليعد: أي فليصدق به على من لا ظهر له.

في فضل: أي فاضل عن حاجته.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "إذا أنزل الله تعالى بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم" (متفق عليه).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "من مات وعليه الصوم صام عنه وليه" (متفق عليه).

والمختار جواز الصوم عن من مات وعليه صوم لهذا الحديث، والمراد بالولي: القريب وارثا كان أو غير وارث.

وقال علي: مر رسول الله ﷺ وأنا أقول: اللهم ارحمني فضرب بيده بين كتفي وقال: أعم ولا تخصص، فإن بين الخصوص والعموم كما بين السماء والأرض (رواه الديلمي).

أعم ولا تخصص: ادع بلغة الجمع لك وللمسلمين.

قال تعالى ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

وقال تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت: مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء. فقال النبي ﷺ "من يضيف هذا الليلة؟" فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ.

وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: عليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء، فقوميهم، وإذا دخل ضيفنا، فأطفي السراج، وأريه أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح، غدا على رسول الله ﷺ: فقال "لقد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة" (متفق عليه).

أني مجهود: أصابني الجهد، وهو: المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع.

الجود والكرم

قال تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَاطِلِينَ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.

وقال تعالى ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.

وقال ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم ينفق عليك" (متفق عليه).

وعن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يا ابن آدم إن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى" (رواه مسلم).

الفضل: ما زاد على ما تدعو إليه حاجة الإنسان لنفسه ولن يموئه.

على كفاف: أي إمساك ما تكف به الحاجة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" (متفق عليه).

وقال ﷺ "الجود من جود الله تعالى فوجدوا يجد الله عليكم إلا إن السخاء شجرة في الجنة، أغصانها مدلاة في الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة إلا وإن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة" (رواه الطبراني).

وقال ﷺ "أفضل الناس إيماناً أبسطهم كفاً" (رواه الطحاوي).

وقال "خير الناس مؤمن فقير يعطي جهده" (رواه الطيالسي والديلمي).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا" (متفق عليه).

وعن أبي كبشة عمر بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله

عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثا فاحفظوه . قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما، ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية فيقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو نيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا، ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمة، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته، فوزرهما سواء" (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: "ما بقى منها؟" قالت: ما بقى منها إلا كتفها. قال: "بقى كلها غير كتفها" (رواه الترمذي وقال: حديث صحيح).

ومعناه: تصدقوا بها إلا كتفها فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسوا الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما آخر" (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يريها لصاحبها، كما يري أحدكم فلوله حتى تكون مثل الجبل" (متفق عليه).

بعدل تمرة: أي بقيمتها.

قال المازري: هذا الحديث وشبهه إنما عبر به ﷺ على ما اعتادوا في خطابهم، ليفهموا عنه، فكني عن قبول الصدقة باليمين، وعن تضعيف أجرها بالتربية.

وقال الترمذي: قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة: نؤمن بهذه الأحاديث ولا نتوهم فيها تشبيها ولا نقول كيف؟!.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، ففتح ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شجرة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، ففتح الماء، بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا مأؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه" (رواه مسلم).

الفلاة: الأرض التي لا ماء فيها.

الحرة: الأرض الملبسة حجارة سوداء.

الشجرة: بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء والجيم هي مسيل الماء.
وقال ﷺ "تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده إذا عثر، السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عالم (أو عابد) بخيل" (رواه الطبراني).
وقال ﷺ "آفة الجود السرف" (رواه الشهاب).

التفكير في خلق الله

قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ١٠١﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٠٢﴾

وقال ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُومًا يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

وقال ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ^١ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

وقال ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

عن أبي يعلي، شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "الكيس: من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز: من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله" (رواه الترمذى وقال حديث حسن).

الكيس: العاقل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي ﷺ "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم له تقدره".

قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد ضعيف، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ورواه أبو الشيخ كذلك وهو على كل حال صحيح المعنى.

النظام

قال تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقال ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾.

وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ ۚ صَفًّا ۖ كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصًا ۝﴾.

وقال ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۝﴾.

وقال ﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ ۖ هَآ شَرِبْتُ وَلَكُمْ شَرِبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝﴾.

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم" (متفق عليه).

ليخالفن الله بين وجوهكم: أي يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب.

وفي رواية لمسلم: كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح حتى إذا رأى أنا قد عقلنا عنه ثم خرج يوماً، فقام حتى كاد أن يكبر، فرأى رجلاً بادياً صدره فقال: "عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم".

القداح: بكسر القاف: خشب السهام.

والمعنى: أنه يباليغ في تسويتها حتى تصير كأنما يقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها.

عقلنا: أي فهمنا.

وفي الحديث الحث على تسوية الصفوف، وجواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن القزع (متفق عليه).

وعنه قال: رأى رسول الله ﷺ صبياً قد حلق بعض شعره وترك بعضه فنهاهم عن ذلك وقال "أحلقوه كله أو اتركوه كله" (رواه داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "لا يمشي أحدكم في نعل واحدة لينعلهما جميعاً أو ليخلعهما جميعاً" وفي رواية "أو ليحفهما جميعاً" (متفق عليه).
ليحفهما: من الحفاء.

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "إذا انقطع شسع نعل أحدكم فلا يمشي في الأخرى حتى يصلحها" (رواه مسلم).

شسع: بكسر الشين وسكون السين ثم عين مهملة هو أحد سيور النعل الذي في صدورهما المشدودة في الزمام.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصا أبا القاسم ﷺ (رواه أبو داود وابن ماجه والدارمي).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله ﷺ "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم" (حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه" (رواه مسلم).

الوقاية والحذر

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

وقال ﴿ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ
أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .

وقال ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وقال ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ .

وقال ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا
جَمِيعًا ﴾ .

وقال ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ
مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ ﴾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال "لا تتركوا النار في
بيوتكم حين تنامون" (متفق عليه).

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "غطوا الإناء
وأوكئوا السقاء وأغلقوا الباب وأطفئوا السراج فإن الشيطان لا يحل
سقاء ولا يفتح بابا ولا يكشف إناء فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض
على إنائه عودا ويذكر اسم الله فليفلعل فإن الفويسقة تضرم على أهل
البيت بينهم" (رواه مسلم).

وأوكئوا السقاء: بكسر الكاف بعدها همز أي اربطوا السقاء وهو
ظرف من الجلد يوضع فيه الماء.

الفويسقة: الفأرة.

تضرم: تحرق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال "لا يُشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار" (متفق عليه).

وفي رواية لمسلم قال: قال أبو القاسم ﷺ "من أشار أخيه بحديدة فإن الملائكة تلغنه حتى ينزع وإن كان أخاه لأبيه وأمه".

وعن أم المؤمنين صفية بنت حيى رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ معتكفا فأتته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقبلني فمر رجلان من الأنصار رضي الله عنهما فلما رأيا النبي ﷺ أسرعوا فقال ﷺ على رسلكما إنها صفية بنت حيى. فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا أو قال شيئا" (متفق عليه).

ثم قمت لأنقلب: أي أرجع إلى منزلي.

على رسلكما: بكسر الراء أي على هينتكما في المشي.

حفظ اللسان

قال تعالى ﴿وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ .

وقال ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَحْتِلَفُ الْأَسْتِكَمِ وَالْوَبْكَمِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ .

وقال ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ .

وقال ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ .

وقال ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾.

وقال ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" (متفق عليه).

وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا الكلام خيرا وهو الذي ظهرت مصلحته ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال "من سلم المسلمون من لسانه ويده" (متفق عليه).

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة" (متفق عليه).

ما بين لحييه: هو اللسان.

وما بين رجليه: الفرج.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب" (متفق عليه).

ومعنى يتبين: يتفكر أنها خير أم لا.

وعنه عن النبي ﷺ قال "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم" (رواه البخاري).

وقال ﷺ "أكثر خطايا ابن آدم من لسانه" (رواه الطبراني والبيهقي).

تم بحمد الله

الفهرس

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ٤ | مقدمة الكتاب |
| ٨ | آية المداينة |
| ١٧ | الخيانة من صفات المنافقين |
| ٤٨ | الأمانة والحكم |
| ٥٣ | القضاء في الإسلام |
| ٦٥ | طاعة الرسول |
| ٦٨ | امتحان ونتائج |
| ٦٩ | طاعة الله والرسول |
| ٧٢ | توجيه وبيان |
| ٧٧ | المعاملات بين الأفراد والمجتمع الصالح |
| ٧٨ | بين الجار وجاره والصديق وصديقه |
| ٧٢ | حقوق العمال |
| ١١٣ | أنواع التكافل الاجتماعي في الإسلام |

رقم الإيداع

٢٠٠٦/٤٣٢٣

الترقيم الدولي

977 - 209 - 140 - 2